ذهاب بلا عودة

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

اسم العمل : ذهاب بلا عودة
اسم الكاتب: نوران العدوي
التدقيق اللغوي: ريهام مصطفى
تصميم الغلاف: يوسف السيد
الإخراج الداخلي: عمر أسامة
رقم الإيداع: ٣٠٩٧٤ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٦٣٣-٨٢٥٤-١٦-٢

مسار للنشر و التوزيع
شارع ونس - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية - مصر
01020439639
massar.pub1@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، ورقيًا أو إلكترونيًا، سواء بشكل كامل أو جزئي أو عرضه مجانًا عبر أي وسيلة وبأي شكل من الأشكال من دون الحصول على تصريح خطي من دار مسار للنشر.

ذهاب بلا عودة

نوران العدوي

مَسَار
للنشر و التوزيع

إهداء

إلى روح أبي وأمي وأخي الغاليين..

تمنيت أن تكونوا بجانبي، ولكنكم في قلبي دائمًا.. لا تغيبون.

إلى أخواتي الحبيبات..

بدون تشجيعكم لم أكن أقدر على فعل شيء.

إلى أسرتي الصغيرة.. زوجي الحبيب وبناتي، لولاكم ما كنت أنا.

وأخيرًا، إلى صديقة الطفولة.. أول من أهدتني كتاب لأقرأه (سعاد شاهين)، كُنتِ السبب في حبي للقراءة.

شيزوفرينيا

"قلت لك مية مرة ما بحبش حد يحضني كده.. ما تدخلش تتسحب من ورايا كده زي الحرامية وما تلزقش فيا بالشكل ده.. ما بحبش التلامس والقرف ده".

ينتفض شريف ويذهل من رد فعل أمه، يخرج مسرعًا وعلى وجهه علامات الغضب ممزوجة بالحسرة، يدخل حجرته ويغلق الباب بعنف.

تؤنب الأم نفسها، وتتحدث في المطبخ كأنها تهمس لأحد "كل مرة أصده وأزعقله وأكسر بخاطره كده.. وهو برضه ما بيتعلمش ويفضل يتلزق فيا.. ما هو برضه مخه تخين". تسكت للحظات وتنزل دموعها من دون أن تشعر، تمسح دموعها في توتر كأنها لا تحب أن تشعر بإحساس إنها ضعيفة.

تذهب بخطوات ثقيلة إلى حجرة شريف، تطرق الباب بهدوء كأنها لا تريد أن يفتح لها، ولتهرب من مواجهة الموقف، تعيد الطرق مرة أخرى ثم تفتح الباب ببطء، لتجد شريف نائمًا في سريره يستقيم في جلسته ينظر إليها دون تحدث.

تقول له: "والنبي ما تزعل مني.. غصب عني والله.. أنت عارف إني ما قصدش أقولك أي كلمه تزعلك.. وبعدين هو أنا ليا في الدنيا حد غيرك ولا بحب حد أصلا غيرك أنت؟!"

يرد شريف: "آه ما هو واضح جدًا الحب.. أنا ما فتكرش آخر مرة خدتيني في حضنك كان إمتى!".

"بقولك إيه.. أنا مش هتكلم كتير.. أنت عارف إن خلقي ضيق.. وقلت لك مليون مرة أنا لما حد بيقرب مني بحس إن جسمي كله بيتلبش.. وبعدين خلاص يا سيدي ما تزعلش نفسك تعالى في حضني واكتب الحضن ده في التاريخ".

***

في بيت من البيوت القديمة نوعًا ما، مبني من أربعة طوابق، الأخير غير مكتمل، واجهته باللون الأبيض الجيري المائل إلى اللون اللبني، تزينه كفوف الدماء دليل على تكرار الأضاحي.

يطرق على الباب وهو ينادي: "يلا يا زينة افتحي الباب.. شايل حاجات كتير قوي" تجري زينة على الباب لتفتح لوالدها وتأخذ الأكياس بفرحة وهي تنظر فيها لتفحص ما بداخلها.

"أنتِ فرحانة بالأكياس أكتر مني" تضحك زينة وترمي نفسها

في حضنه، وتقوله: "لا والله أبدًا، ده أنا قلت أشيلهم عنك بس".

"أمال فين أمك؟" تظهر الأم وهي مبتسمة وتقول: "حمدًا لله على السلامة" يقبلها الأب ويقول لزينة: "إيه حكاية أمك اللي ما بتكبرش دي! مش عارف أعمل معاها إيه!"

تنصرف الأم وهي تضحك، وتقول: "والنبي أنت رايق.. أنا داخله أكمل الأكل".

"أنتِ عارفة يا زينة.. أنا بحب أمك دي من وهي عيلة صغيرة في إعدادي.. كانت أجمل واحدة في مدرستها.. لا مش في مدرستها بس.. دي في البلد كلها.. كانت بتخطف قلبي وهي ماشية قدامي".

"يا رب يا بابا ألاقي حد يحبني زي ما بتحب ماما كده" ينظر الأب في تعجب: "إيه يا بنت البجاحة دي؟ بتقولي كده قدامي عادي؟!".

تتلجلج زينة، وتضحك في خجل: "أقصد يعني لما عريس يتقدملي.. وبعدين ما حضرتك بتقول أنك بتحبها من وهي في إعدادي.. يعني كانت أصغر مني".

"لا يا حبيبتي، أنا اللي كنت بحبها لكن هي عمرها حتى ما بصت لي ولا بلت ريقي بكلمة واحدة، وده اللي حببني فيها أكتر،

وبعدين أنا كنت بحبها من بعيد لبعيد، عمري ما حاولت أعاكسها أو امشي وراها وحركات العيال دي.. وأصلًا أنا مش هديكِ لحد؛ هو مين ده اللي يستاهل القمر بتاعي! يلا الغدا جاهز ماما بتنادي".

في شارع مزدحم بالناس والبائعين، تتعالى الأصوات وتختلط ببعضها حتى تكاد لا تميز من أي جهة تصدر! أطفال يجرون وراء الكرة، بائع يهش الذباب من على بضاعته، الأصوات صاخبة ويزيدها صبي القهوة وهو ينادي بصوت يحاول أن يغطي على الأصوات الخارجية.

"وعندك واحدة حلبه حصى لعم عزيز". "مالك يا عزيز شكلك بقى له فترة تعبان ومبهدل كده! فيك إيه؟ قولي؟" يرد عزيز وهو ينفخ دخان السيجارة وهو مغمض العينين: "ما فيش يا محمود بس العيشة وأنا لوحدي صعبة قوي، يوم عن يوم بتصعب أكتر، لا حد موجود معايا يكلمني ولا ياخد بحسي".

"مش فيه واحدة بتجيلك تعملك الأكل وتغسلك هدومك وتوضبلك الدنيا كل أسبوع يا عم؟" "هي الدنيا كلها أكل وغسيل؟ أنا نفسي في ونس، أنيس، جليس أفضفض معاه واشكيله همي".

"طب ما أنا أهو.. اتكلم معايا وفضفضلي وافتحلي قلبك".

ينظر له عزيز ويقول له: "يا دي القرف! ده أنا زهقت منك، أنا نفسي في حته طرية ارمي حمولي عليها، وتاخدني في صدرها واشكيلها همي".

تتعالى ضحكات محمود حتى يسعل ويقول: "آه! هو ده غرضك بقى؟ يا عم اتنيل، أنت فيك نفس؟".

"لا، أنت فهمتني غلط، بقولك هتكلم بس" يضحكا معًا ويرد عليه محمود: "ما أنا بقى لي سنين بتحايل عليك تتجوز وتشوفلك واحدة تونسك" .

"لا، خلاص. توبة؛ منها لله الولية، كرهتني في الصنف كله، تصدق بالله يا محمود أنا بخاف من الستات بسب اللي عملته، يلا الله يحرقها هي وكل اللي زيها، أنا بس بيصعب عليا نفسي كل فترة فبقول أي كلمتين".

***

"يعني إيه يا شريف اللي أنت بتقوله ده! هتسافر ليه؟ مش قلت هتشتغل في صيدلية أبو صاحبك؟".

"ما هو أنا عايز أعمل حاجة لنفسي يا أمي، بقى لي سنتين بشتغل من صيدلية لصيدلية وشغلي فيهم مش هيعملي حاجة، ولا هعرف

أقف علي رجلي ولا أفتح الصيدلية اللي نفسي فيها، أنا هشتغل في شركة أدوية في القاهرة، وهدور على صيدلية برضه أشتغل فيها بالليل، وهو قرش من هنا على قرش من هنا ماحدش عارف يمكن أعمل اللي نفسي فيه، وبعدين القاهرة وطنطا ما يجيش ساعة ساعه ونص، وكل أسبوع هجيلك يوم الأجازةولو وحشتك أو احتاجتيني في أي وقت كلميني هبقى عندك على طول".

تقاطعه الأم: "يلا هو أنت هتبقى أعز من اللي سابوني! ما جتش عليك أنت كمان."

" يا ماما أنتِ لما تحبي تقلبيها نكد بتقلبيها صح، بس علشان خاطرك مش هديكِ الفرصة دي، بس هقولك على حاجتين مهمين، أولًا: اللي سابوكِ دول أنتِ اللي طفشتيهم، وكان كله قدامي. وثانيًا: أنا ابنك، يعني هفضل أحبك مهما تعملي فيا لآخر العمر" يأخذ يدها يقبلها بحب ويقول لها: "ما تخافيش، أنا هبقى معاكِ على طول، أي وقت تحتاجيني هتلاقيني قدامك".

تقوله: "بس على شرط! اوعى رجلك تخطي بيت خالك الحرامي ده، ولو عملتها تبقى لا أنت ابني ولا أعرفك".

"أنا مش فاهم بس أنتِ بتكرهيه قوي كده ليه؟ أنا فاكر بابا زمان

كان بيقول عليه إنه طيب وجدع".

تصرخ في حدة: " طيب! انقطع طيبه من الدنيا هو وأبوك في يوم واحد، ما هو لازم يقول عليه كده؛ ما هما الاتنين اتفقوا عليا وأكلوا حقي في الورث، وأبوك وقف في صفه وفضل يقول عقود بيع وشرا ، عمل كده علشان خالك اداله قرشين حرام زي اللي خده من ورثي".

يقاطعها شريف وهو يضحك ويحاول أن يغير الموضوع: "آه، احنا لو فتحنا في السيرة دي يا أمي مش هنخلص، المهم أنا هسافر أول الشهر، يعني كمان أسبوعين تقريبًا".

ترد الأم بانفعالها المعتاد: "وهتقعد فين إن شاء الله؟ أكيد بقى هتعقد مع أبوك، ما خلاص هتبقوا حبايب بقى".

يرد شريف في نفاد صبر: "لا ما تخافيش، أنا وواحد زميلي هنأجر شقة جنب الشركة بتاعتنا". وينصرف مسرعًا تجنبًا لأي أسئلة أخرى.

يمر أسبوعان، ويغادر طنطا ويودع أمه ودموعها لا تتوقف وهي توصيه ألا يزور خاله مهما حصل، وما يعقدش عند أبوه. يغادر شريف وهو خائف على أمه ويشعر بالقلق لتركها وحيدة.

يدخل الشارع المزدحم كالعادة، ليجد والده على القهوة كالمعتاد، يرحب به ويهلل فرحًا وينادي كل من يجلس على القهوة ويقولهم وهو فخور: " ابني الدكتور شريف.. أخيرًا هنتلم يا شريف مع بعض! ما تعرفش أنت جايلي في وقت أنا محتاجك فيه قد إيه، منها لله اللي فرقتنا عن بعض وحرمتني منك".

"خلاص يا بابا أهو ربنا رايد أننا نتلم تاني ونقعد مع بعض، وبعدين ده احنا على طول بنتكلم وبجيلك زيارات، أمال أنا حافظ مكانك في القهوة إزاي، وهعقد معاك، بس على الله ما تزهقش أنت مني وتقولي شوفلك حتة تانية".

"لا، أزهق إيه؟ اوعي تقول كده.. أنا نفسي من زمان نقعد مع بعض".

"تعرف؟ أنا مش قايل لأمي أني قاعد معاك، وقلت لها إني مأجر شقة أنا وواحد زميلي جنب الشغل".

ينفعل الأب ويعلو صوته: "ليه؟ هو أنا مش أبوك ولا إيه؟ وليا حق فيك زيها وأكتر! أنت لازم تقولها أنك قاعد عندي".

"يا بابا أنا مش عايز مشاكل ونكد، وأنت عارف ماما حساسة ومش هخلص من اللي هتعمله فيا".

"حساسة؟!" يقولها الأب في تهكم: "آه ما أنا عارف حساسيتها دي كويس، أنا شفت منها كتير".

"غصب عني يا بابا، أنا بس مش عايزها تعرف علشان ما يحصلش مشاكل بينا وازعلها، وخصوصًا إنها لوحدها على طول وما لهاش غيري ولا ليها أصحاب ولا قرايب ولا أي حد".

"ما لهاش حد من عمايلها السودا وخناقها مع كل الناس اللي حواليها، بقولك إيه يا شريف، قفل على السيرة دي وخلينا نروح نتغدا غدوة حلوة تليق بيك".

***

يهبط الليل، يفكر شريف وهو في حجرته الجديدة التي لم يعتدها بعد ويفكر في أمه ويقول في نفسه: "يا ترى أنا جيت هنا عشان أشتغل فعلًا ولا هربت من أمي؟" يطرد الفكرة سريعًا من رأسه وهو يقول كأنه بيكلم حد تاني: "لا، أنا ما هربتش منها، أنا كنت بدور على فرصة، وده من حقي" يصدر صوت آخر من دماغه ضاحكًا: "يا واد يا مجتهد، هو حد قالك إنك هتمسك مدير الشركة؟ ما هنا زي هناك! ما كنت تشتغل في صيدلية أبو صاحبك، بقولك إيه؟ أنت هربت عادي اعترف".

يغضب شريف وينفعل ويرد على نفسه بصوت عال: "لا، أنا بدور على حلمي" ويدفع رأسه في المخدة وينام.

***

تمشي زينة في طريق عودتها من المدرسة هي وزميلتها، زينة اسم على مسمى، جميلة الشكل ذات العيون العسلية الواسعة والبشرة البيضاء، مائلة للأحمر والشعر الكستنائي الداكن المعقود دائمًا على هيئة ضفيرة جميلة ومنمقة، تمشي في دلال، فهي تعلم أن العيون ترصدها في الراحة والجاية، وهذا شيء يسعدها ويجعلها فخورة بجمالها حتى لو تصنعت عكس ذلك، ولكن لا أحد يجرؤ على مضايقتها لأن أبوها صيته واسع في المنظقة، يمتلك محال لوازم السبوع واليباميش، ومعروف بإنه تاجر محترم ورجل خير ومحبوب من كل المنطقة.

تغمز لها صاحبتها وتقولها: "الواد أهو اللي كل يوم يستنانا على باب المدرسة ويفضل ماشي ورانا لحد البيت" ترد زينة عليها: "ولا كأنك شايفة حاجة، اصبري عليا هوريكِ هعمل فيه إيه".

فضلت تبص للواد من تحت لتحت وتضحكله لحد ما الواد قال في نفسه: "خلاص دي كده وقعت أخيرًابعد ما كان بقى لي شهر

واقف مستني نظرة واحدة".

دخل وراها لحد الشارع اللي ساكنه فيه، فجأة وقفت زينة في نص الشارع وزعقت بأعلى صوت: "أنت ما عندكش إخوات بنات! إيه اللي بتعملوا معايا ده؟!" اتلم الشارع في ثانية واحدة وكله كان عايز يفهم في إيه بس وكانوا عايزين يدافعوا عن زينة، كل الشارع جامل والدها والواد اترن علقة محترمة وهي تصنعت البكاء ودخلت جري إلى العمارةوهي تضحك ضحكة خبيثة.

زعقت فيها زميلتها وقالت لها: "حرام عليكِ الولد ما عملش حاجة ولا فتح بقه حتى إيه يا زينة الشر ده؟!".

قالت لها: "علشان يبطل بحلقة وبص لبنات الناس، ويبص على قده بعد كده، يستاهل أكتر من كده".

لم يعجب الكلام زميلتها، وانصرفت بعد ما كانوا متفقين يذاكروا ويقضوا اليوم مع بعضهم.

لم تبال زينة، وجريت على السلم وهي تضحك كأن شيئًا لم يكن.

***

على القهوة، شريف وأبوه قاعدين، أبوه يشرب كوب الحلبة بتاعته كالعادة ويرشف في استمتاع، ويقول لشريف: "هخلص

شرب ونقوم نروح لخالك".

"والله يا بابا نفسي أشوفه، بس قلقان من الزيارة دي قوي، أمي موصياني ما عتبش بيته". "والنبي تسكت يا شريف وما تجبليش سيرة أمك المجنونة دي، ما فيش حد أصلًا بيطقيها، وبعدين هو لو خالك وحش كان زماني لا بكلمه ولا هو بيكلمني.. يلا زمانه مستنينا".

***

"زينة خلصي المذاكرة اللي وراكِ، وادخلي ساعدي ماما في تحضير العشا علشان في ضيوف جيلنا".

"مين يا بابا اللي جاي؟"

"لا دي مفاجأة".

يرن جرس الباب، ويدخل عزيز ووراءه شريف، له وجه جذاب وعيون نافذة وشعر أسود ناعم. أول ما دخلوا رحب بهم الخال وهلل ونادى على الأم: "شايفة الدكتور شريف ابن عزيز بقى رجل إزاي ما شاء الله".

يستغرب شريف لماذا لم يقل ابن أختي؟! تدخل زينة لتلقي عليهم التحية، ينظر إليها شريف نظرة طويلة ثاقبة، حتى يحمر

وجهها. يلاحظ عزيز فيقول: "ما شاء الله زينة كبرت وبقت زي القمر". تضحك في خجل من دون رد.

يرحب الخال بهم هو وزوجته.

بيتهم عتيق الطراز ذا الطابع الكلاسيكي المتميز بالفخامة والرقي.

وزوجة خالي كانت قد أعدت سفرة عارمة من جميع الأصناف، تعشوا جميعًا، وظلوا يتحدثون عن أحوال الدنيا وزينة كانت قليلة الكلام، بس كل شويه تنظر كده من تحت لتحت.

طول الطريق واحنا راجعين لاحظت إن بابا ماكنش بيتكلم، بس أول ما روحنا قالي: "بص يا شريف أنا لاحظت إنك كل شويه تبص علي زينة، وهي كمان. أولًا دي صغيرة عليك، وثانيًا أمك عمرها ما هتوافق عليها لو السما انطبقت على الأرض".

ضحك شريف بصوت عال: "يا بابا زينة إيه بس! هو أنا لحقت حتى أشوفها علشان تخليني أحبها وكمان أتقدملها وأمي ما ترضاش! مافيش أي حاجة أصلًا، دي واحدة أول مرة أشوفها، زيها زي خالي ومراته، طبيعي جدًا إني أبصلهم كل شوية".

***

مرت الأيام هادئة، يذهب شريف إلى عمله ويرجع على النوم، أحيانًا يذهب إلى خاله في المحل ليلقي عليه السلام، وأحيانًا يأخذه معه إلى البيت يسهرا معًا حتى توطدت العلاقة بينهما، وأصبحت الزيارات بشكل أسبوعي متكرر، وأحيانًا يذهب من دون والده. تعلق الخال بشريف وكان دائم القول له: "كان نفسي يبقى عندي ولد زيك". شريف كان خدومًا وعطوفًا ويساعده دائمًا إذا احتاج أي شيء في المحل أو البيت، وإذا احتاجه في أي مشوار يصطحبه معه وكان يساعد زينة في دروس الكيمياء التي لا تفهمها وأصبح فردًا من الأسرة.

في مرة وهم مجتمعين، قالت زوجة خاله: "كيف حال والدتك؟ يا رب تكون بخير ابقى سلملي عليها لما تزورها" رد عليها: "طبعًا يوصل" نظر الخال لزوجته نظرة ذات مغزى حتى تصمت. وقطع الخال الحديث وقال: "عايزك تيجي معايا العمارة الجديدة اللي ببنيها؛ المقاول مغلبني، تعالى افهم معايا إيه الدنيا" فهم شريف إن خاله بيغير الموضوع، ولكنه وافق على الفور.

أصبحت علاقه شريف وزينة قوية جدًا، وانتقل الإعجاب سريعًا إلى حب وخصوصًا إن الظروف كانت في مصلحتهم، وجود شريف معظم الوقت، ونجحت زينة في الثانوية، والتحقت

بكلية العلوم، فرح الأب والأم بها ونسبا تفوقها إلى شريف بسبب مساعدته لها في الدراسة وتشجيعها.

أصبح خروج زينة من المنزل أسهل من السابق، بعد التحقها بكليتها يذهب إليها شريف ليقضيا بعض الوقت معًا بعيدًا عن خاله وزوجته، استمرت مقابلتهما وكانت زينة تعيش أسعد أيام حياتها.

ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، مرض الخال فجأة وتدهورت حالته الصحية بعدما كان يتمتع بصحة وافرة، وبدأ رحله علاج غير مفهومة لأن كل الأطباء لا يعرفون ما أصابه، إعياء شديد وعدم قدرة على الأكل، ولو أكل شيء بسيط لا يستقر في معدته، وطبعًا شريف كان معه في رحله العلاج دي.

يتعجب عزيز ويقول لشريف: "بقى الراجل اللي الدنيا كلها بتحلف بصحته وبشبابه يجرى له كده؟!".

"ماحدش كبير على المرض يا بابا، ربنا يشفيه، ادعيله بس". طبعًا زينة أصبحت ترى شريف إنه بطلها ومنقذها، فهو رجل بمعنى الكلمة، وخصوصًا إنه يباشر أعمال والدها من دون تقصير إلى جانب عمله، ويوم عن يوم يزداد حبها له وتعلقها به، فاتحته في يوم

وقالت له: "إيه رأيك يا شريف لو تيجي تخطبني؟ أنا حاسه إن ده هيفرق في حاله بابا قوي" .

"بصي يا زينة، أنا كنت مستني اليوم ده بفارغ الصبر، وقاعد أتخيل يوم ما أتقدملك، لكن مرض خالي بوظ الدنيا وخلاني حاسس بالمسؤولية ناحيتكم أكتر، وأنا كمان لازم أمهد لماما، أنتِ عارفة هي وخالي علاقتهم مش أحسن حاجة، لازم أستنى لما خالي يقوم بالسلامة حتى، علشان أصالحهم على بعض، ما تقلقيش أنتِ كده كده ليا".

أجر شقه قريبة من عمله، لأن بيت والده بعيد عن شركته، تعجب والده: "يا بني أنت غاوي مصاريف؟"

"يا بابا أنا ما كنتش أعرف إن المسافات في القاهرة بعيدة كده، غير الزحمة. أنا نص اليوم بقضيه في الموصلات، ده غير إني بروح المحلات بتاعة خالي أبص عليها، معلش استحملني كده اليومين دول، ولو يوم خلصت بدري هاجي أبات معاك".

***

قلت زيارات شريف تدريجيًا لخاله، ولكن كان دائم الاتصال بهم، وبين الحين والآخر يذهب إليهم. عجز الأطباء عن تشخيص

حالة خاله، أحيانًا يمرض وتتدهور حالته وأحيانًا يتحسن، ولكن تحسن بسيط.

بين كل ذلك زينة تكاد تجن من مرض والدها، ولقله زيارات شريف.

تعاتبه وهي تبكي: "أنا أعمل إية دلوقتي؟ أنا أخدت إني أشوفك كل يوم، إزاي عايزني أستحمل أشوفك مرة في الأسبوع بس، وساعات بتيجي كمان وأنا في الكلية، أنت إيه حكايتك؟".

"أعمل إيه بس؟ أنا طالع عيني في شغل خالي وشغلي، والله ما بلحق أستريح، بس ما تزعليش نفسك، أنا هتصرف علشان أنتِ كمان بتوحشيني قوي. خلاص بقى ما تنكديش علينا، ما احنا مع بعض أهو، تعالي نطلع فوق علشان وقفة الشارع دي شكلها مش حلو".

تصعد معاه إلى شقه خاله، وأول ما يراه يفرح جدًا.

يعطي خاله الأدوية، ويظل بجواره يتحدث معه ويخفف عنه ويحضر له الينسون، ويطمئن إنه شربه بالكامل ولا يتركهم إلا عندما ينام خاله، فيودعهم ويسلم على زينة ويمسك يدها بقوة ويبتسم لها ابتسامة خفيفة، وهو راحل يعطي زوجة خاله العنوان

الجديد للسكن الخاص به.

"خلي برضه العنوان معاكم علشان لو أي حاجة حصلت تبقوا عارفين العنوان" وينظر إلى زينة نظرة ذات مغزى وانصرف مغادرًا.

تمر الأيام تقيلة وطويلة على زينة، لا تجد شريف حبها الذي غير أيامها وجعل لها طعم جديد، ومن ناحية أخرى حزنها على تدهور حالة والدها الصحية.

شحبت زينة وانطفأت من الحزن على والدها، وأصبحت قليلة في كل شيء، قليلة الأكل والنوم والكلام، تنظر إلى والدها طويلًا وهو نائم، تتابع صدره وهو يعلو ويهبط حتى تتأكد إنه على قيد الحياة، أحيانًا لايكفيها النظر، كانت بهدوء تضع إصبعها تحت أنفة لتشعر بالهواء الساخن الضعيف وهو يخرج منه، لتنحني وتقبل يده، وتشكر الله وتدعي وهي تبكي في حرقة وصمت، وتدعي أن يشفي الله والدها، تخرج من الحجرة شاردة لا تعرف ما تفعله! تمسك هاتفها لتكلم شريف لتجد تليفونه مغلقًا فتلقي التليفون بعيدًا في غضب وتدخل في نوبة بكاء حتى يغلبها النوم.

***

على القهوة مكان عزيز المعتاد، يجلس هو ومحمود. يقفل الأول

الطاولة: "الله الله أنت مش هتلعب ولا إيه يا عزيز؟ كل ما تلاقي نفسك هتتغلب تعمل الشويتين دول".

"لا يا محمود، أنا مفياش دماغ خالص للعب، زهقان قوي، مش عارف شريف ماله اليومين دول! مش عاجبني خالص، على طول كده لما بيجيلي شارد ودماغه مش فيه، وزي ما يكون شايل الهم.

وموضوع أنه نقل جنب شغله ده مزعلني قوي، كنت ما صدقت أننا بقينا في بيت واحد وفرحت وحسيت إني أب بجد".

"معلش يا عزيز أنت عارف الشغل هنا صعب، والبلد زحمة وكبيرة، والموصلات فوق بعضها، الواد اتخض! كان فاكر الدنيا سهلة زي طنطا تلفها في نص ساعة، وحط برضه في الاعتبار موضوع تعب خاله اللي ظهر فجأة، ده خلاه يوم عندك ويوم عنده، وعامله قلق ودربكة".

"آه والله عندك حق، أنا كنت فرحت إن شريف عرف خاله، وحسيت أننا رجعنا عيلة من تاني، وناس نتلم معاهم، يجي الراجل كده يقع مرة واحدة وماحدش عارف سببه إيه!".

في مدخل الشارع الضيق المزدحم، يجلس قبالة الشارع،فيرى من يدخل ويخرج، يرى من بعيد امرأة قادمة من أول الشارع، تمشي

مشية سريعة يحيط بها الغبار من انفعالها في المشي، لها هيئه مضطربة، تقرب أكتر، يرى ملابسها غير المتناسقة. تسأل ويرد الآخر وهو يشير على القهوة مكان جلوس عزيز، ينقبض قلبه ويحس بالبرودة في أطراف جسده، يمسك في الكرسي كأن أحد على وشك اقتلاعه منه، يخبط على رأسه وهو يقول: "يا دي النهار اللي ما طلعتلوش شمس، مش بقولك يا محمود أنا النهاردة مش مرتاح". تدخل عليه وعيناها مملؤة بالغضب.

"وديت شريف ابني فين؟ أنا عارفة إن أنت والكلب التاني عايزين تاخدوا ابني اللي طلعت بيه من الدنيا، زمانكم كل يوم تألفوا قصة شكل عليا علشان يصدق إني مجنونة، وديني حالًا بيت الكلب ده، يا إما هعملك فضيحة، أنا متأكدة إن شريف عنده".

"وأنتِ لسه هتعملي فضيحة؟! ما طول عمرك فضحانا، وبعدين احنا اللي هنقول لابنك إنك مجنونة؟ دة أنتِ الجنان بينط من عينكِ" كان مظهرها يوحي فعلًا بالجنون، ترتدي بالطو رث تحته جيبة بليسيه وبلوفر قديم، وتربط رأسها بإيشارب صغير، شعرها الأبيض المجعد يتطاير من وراءه كأنها ميدوسا في الأسطورة الإغريقية.

"على فكرة شريف مأجر شقة جنب شغله وعايش فيها، ريحي

نفسك، لا قاعد عندي ولا عند خاله".

"ما تقولش خاله، ده لا أخويا ولا أعرفه، بقولك أنا مكلماه بالليل وصوت ناس جنبه، ولما سألتة اتلخبط وقفل، ففهمت على طول هو فين، ودِيني حالاً".

طرقات عنيفة على باب بيت الخال، كل من في البيت فزعوا. يشد يدها عزيز حتى تتوقف.

تجري الأم تفتح لتجدها، فتدفعها وهي تصيح: "هو فين ابني اللي مقعدينوا معاكم؟"

وسط زهول زينة وأمها، لا يستطيعون الرد من صدمتهم.

"بس اسكتي وطي صوتك، إيه اللي هيقعد شريف معانا؟! أنتِ مجنونة صحيح".

تركض في أنحاء الشقة لتتأكد فتجد حجرة بابها موارب، فتفتح الباب لتجد أخوها نايم مستلقي ولا يستطيع الحراك.

تبص ناحيته وتقول: "الحمد لله جبتلي حقي يا رب وشفته وهو بيخلص ذنبي منك يا خلفة إبليس، ربنا هيطول في عذابك علشان أفرح فيك أكتر وأكتر".

"اطلعي بره يا ست أنتِ، حسبي الله فيكِ، اطلعي بره بدل ما أطلبلك البوليس، أنتِ ماعندكيش قلب؟ّ بتشمتي في المرض؟!".

***

يفتح شريف باب شقته الجديدة، ليجد زينة هي التي تقف على الباب وعنيها محمرة من كتر البكاء، يدخلها سريعًا ويغلق باب الشقة، ترمي نفسها في حضنه وتبكي بشدة، يسألها شريف برهبة: "في إيه؟ خالي جرى له حاجة؟ ردي عليا".

لا يستطيع فهم ما تقوله من شدة انفعالها وبكائها الشديد، كل اللي على لسانه: "خالي كويس؟" تشير له أنه بخير، يهديها ويدخل إلى المطبخ ليحضر لها كوبًا من الماء، تهدأ قليلًا ولكن دون التوقف عن البكاء.

"تعرفي إنك حلوة وأنتِ بتعيطي! زي القمر والله" ثم يقبل يدها.

"يا شريف أسكت أنا عايزة أفهم منك بجد إيه اللي بين مامتك وبابا؟ علشان تعمل اللي عملته ده! أنا دماغي هتنفجر من كتر التفكير، أنت مش عارف قالت وعملت إيه، دي فضحتنا في الشارع والبيت، أنا هتجنن ده ولا كأن بابا قاتلها قتيل".

نظر في عينها طويلًا ولم يرد، أخذها في حضنه وظل يقبلها في

كل وجهها وهي لا تقاوم، كانت في حالة من الاستسلام أو الرغبة الشديدة هي الأخرى. لا تدري كيف استسلمت وسلمت له نفسها بهذه السهولة، مشاعر متضاربة لا تفهم ما حدث! كانت صامته كالحجارة، لا يوجد علي وجهها أي تعبير. "مالك يا زينة؟" هو يحاوطها بذراعيه بقوة. "ما تخافيش هو أنا عمري هضحك عليكِ! وبعدين أنا وأنتِ كده كده هنتجوز، الموضوع موضوع وقت مش أكتر" تستمع إليه ولا تستطيع الرد، دموعها بدأت في النزول ولكن في صمت.

يعلو صوت شريف: "يا ستي ردي عليا، أنا عارف إنك خايفة، وخصوصًا بعد ما أمي جت البيت عندكم، حتى لو هي ما وافقتش على جوازنا، أنا هتجوزك، مفيش حاجة هتمنعني. علي فكرة أمي غلبانة، بس هي بعد طلاقها من أبويا وهي نفسيتها تعبت وكرهت كل الرجالة، دي ساعات بتكرهني أنا شخصيًا".

تبتسم زينة في حزن: "أنتِ عارفة! كانت بتقولي إن خالي أخد ورثها بمساعدة أبويا" تنظر له زينة في تحفز، فيوضح كلامه ويقولها: "لكن أبويا قالي مافيش الكلام ده خالص، وإنها واخدة كل حقوقها، بس هي غارت لما خالي كبر شغله، وبعدين قالي حاجة أقنعتني، إزاي هنعيش أنا وهي في مستوي كويس كده لو ماعهاش فلوس،

لان النفقة حاجة بسيطة ماتكفيش كل ده. بصي، أمي تعبانة ومش همشي أقول أمي مجنونه يعني! ادعيلها ربنا يهديها، والله دي غلبانة بس الدنيا جت عليها".

***

"مش قلتك يا محمود دي ست مجنونة وكرهتني في الصنف كله، راحت لأخوها وهو عيان، فضحتنا هناك وهاتك يا شتيمة ودعا عليه، وانا بقيت نفسي الأرض تنشق وتبلعني".

"تعرف يا عزيز أنا إيه اللي بستغربله في الموضوع ده؟ شريف قدر إزاي وسط الكره والغل ده يطلع راجل ومحترم وما سبش خاله ولا ثانية، وخصوصًا كمان بعد زيارة أمه، لسه علاقته بيهم كويسة".

***

يعطي شريف الدوا لخاله، ويقبل رأسه: "نام دلوقتي يا حبيبي وإن شاء الله تبقى أحسن لما تصحى".

يرد خالة في حزن "تعبت قوي، مش عارف كان مستخبيلي فين ده كله، هو أنا عملت إيه في دنيتي يا ربي علشان تبتليني كده! اللهم لا اعتراض".

***

يفتح شريف باب شقته ليجد زينة في انتظاره والبيت أصبح يجمل الطابع النسائي، متلمع وريحته حلوة، ومفرش صغير على ترابيزة السفرة المتهالكة، وعلية فازة فيها ورد بلدي أحمر وأبيض: "إيه الجمال ده! أنا كده هاخد على الدلع ده على طول".

"أمال إيه! مش لازم أحط بصمتي في الشقة عقبال شقتنا مع بعض"

"طب يلا نتغدا، أنا جايب ساندوتشات وأنا جاي، بقولك إيه اقعدي معايا شويه حلوين، أنا سألت مامتك وقالتلي إنك هتتأخري علشان عندك محاضرات كتير".

تضحك بصوت عال: "آه كتير ما تعدش" .

تتوالى زيارات زينا لشريف فى منزله وتعتبر إنه بيتها الآخر، كانت تلك الزيارات تهون عليها مرض والدها وتنسيها جو البيت الكئيب.

لم يمر يومان حتي وجد شريف زينة تتصل به وهي تصرخ في التليفون: "تعالى بسرعة، بابا تعبان قوي".

يصل مسرعًا ليجد الدكتور وأبوه وعم عزيز في المنزل، يسأل الطبيب عن تطورات الحالة وإيه اللي جد وخلاه يتعب قوي كده!

"والله مش عارف أقولك إيه؟ أنا ما بقتش عارف أحدد هو عنده إيه بالضبط! أنا هحوله لدكتور غدد صماء يعمله تحاليل ويشوف الحالة من أول وجديد، بس يستمر على الأدوية لحد ما يروح".

"هتنزل معايا يا شريف؟"

"لا يا بابا، اتفضل أنت، أنا هقعد معاهم شوية، وأدي لخالي الأدوية بتاعته وهاجي أبات معاك النهاردة".

يعطي شريف الدواء لخاله، ويريح رأسه على المخدة، ويضعها في وضع مستقيم ويقفل الباب نص قفله، يقف في مواجهة غرفة خاله ينظر إليه، وتأتي زينة يجعلها في ضهر الباب حتى لا ترى والدها، ويتحسس جسمها بطريقة شهوانية وهي تضحك في خجل، وتحاول تبعد يده وتهمس له: "بابا يا شريف، خلي بالك" ويقرب أكتر ويقبلها في رقبتها.

"ما تقلقيش، أنا اديتله الدوا واتأكدت إنه نام خلاص".

يراهم الأب ولايستطيع الحركة ولا الكلام، ينظر إلى شريف وهو يحضن زينة بتشف غير مفهوم.

لم يمر أسبوع وتدهور حالة الخال بسرعة شديدة، واضطروا أن ينقلوه إلى المستشفى حتى يكون تحت رعاية دائمة.

أمام باب العناية المركزة تقف زينه وأمها يمسكان بالمصاحف الصغيرة، يقرآن القرآن ولا يتوقفا عن الدعاء والبكاء، ولكن تظهر الممرضة لتخبرهم بالخبر المشؤوم.

زينة وأمها في حاله صدمة شديدة، الأب كان كل شيء بالنسبة لهم، ماذا يفعلون من دونه، لم يكن بيتهم وحده هو الذي يعلن الحداد بل الشارع كله يخيم عليه الحزن.

قلت زيارات شريف، كيف يتركها في تلك الظروف، تليفونه مغلق دائمًا، وحين ذهبت إلى عم عزيز، قال لها إنه سافر إلى طنطا علشان أمه تعبت، فراح يقعد معاها، "طب وشغله؟ ما قالش راجع إمتى؟. "والله يا بنتي هو قالي إنه قدم استقالته من الشركة علشان يرجع يقعد جنب أمه لأنها تعبانة قوي" فزعت زينة ومن دون حسبان تعالى صوتها: "طب وأنا هعمل إيه؟ أقصد يعني الشغل بتاع بابا هو اللي كان مباشر كل حاجة"

"بصي، لو عايزة محاسب ابن عمك محمود موجود، أمين وأنا أضمنه برقبتي".

لم ترد زينة وانصرفت وهي غير مستوعبة ولا مدركة ماذا تقول! تدخل البيت الذي تبدل حاله من بيت مليء بالحب والسعادة إلى

بيت مظلم كئيب.

تدخل غرفتها وهي تضرب وجهها بيديها وتكلم نفسها: "أعمل إيه في المصيبة اللي أنا فيها دي".

تتصل بشريف كل يوم أكتر من عشرين مرة، ومافيش فايدة، تليفونه مقفول طول الوقت.

تكلم نفسها وتقول: "أعمل إيه؟ أقول لماما! دي تموت فيها، طيب أتصرف إزاي في اللي في بطني! عملت فيا كده ليه يا شريف؟".

انتظرت في أربعين والدها أن تجد شريف ولكنه لم يأتِ، تعجبت الأم عدم رؤيتها لشريف: "هو إزاي شريف ما يجيش كل المدة دي؟ ولا ييجي في أربعين أبوكِ! صحيح طلع واطي زي أمه". تنفجر زينة باكية في حضن أمها، هي طبعًا كانت ملاحظة إن فيه بينهم حاجة، بس ماكانتش عارفة أي حاجة من التفاصيل اللي بينهم، وعمرها ما تتوقع إن زينة ممكن تعمل حاجة كده، خصوصًا إن زينة بنت مؤدبة ومالهاش في الكلام ده، بس اليوم ده حست إن انهيار زينة مش طبيعي، ووراها حاجة، فضلت وراها تضغط عليها لحد ما اعترفتلها بكل حاجة، كان اللي جواها كأنه حمل وعايزة تخلص منه.

الأم تسمع وهي في حاله من الذهول ودموعها متجمدة ولا تنزل، كلما صمتت أكتر زادت زينة في الكلام، كأن ذلك السر الكبير أرادت أن تشاركه مع أحد لعل ذلك يريحها.

كادت الأم تلحق بزوجها من هول الصدمة، لا تعرف ماذا تفعل أو لمن تلجأ. أخذت زينة وذهبا إلى طبيب بعيد عن منطقة سكنهم حتى تتأكد من خبر حملها، كانت تريد أن يقول لها الطبيب أن لا يوجد شيء، ولكن بشرهم بالخبر، استقبلوه بصمت كالعادة .

وصلا إلى المنزل، تركت الأم زينة ونزلت إلى عزيز، وطلبت منه الذهاب معها إلى بيتهم في طنطا. تعجب عزيز من طلبها ولكن وراء إلحاحها يفهم إن فيه مصيبة عملها شريف. طلبت منه إنها مش هتتكلم ولا هتحكي حاجة غير لما توصل بيتهم. احترم رغبتها وذهبا إلى طنطا.

تصعد درجات السلم كأنها تصعد إلى حكمها بالإعدام لا تعرف كيف تواجهه، هل تنهره أم تستعطفه؟ مشاعر متضاربة لم تختبرها يومًا.

تفتح أم شريف الباب، وعند رؤيتهم تظهر على وجهها مشاعر القرف والامتعاض: "خير؟ إيه اللي رماكم علينا؟" يصيح عزيز: "

بقولك إيه اسكتي شوية، احنا جايين لشريف هو فين؟".

"أنت هتزعقلي في بيتي يا راجل يا عرة أنت! خد الزباله دي واطلع برة". يتعالى صوتهما فيظهر شريف من باب الحجرة بلبس النوم، وشعر منكوش ووجه عليه علامات النوم وعدم الفهم، ولكن سرعان ما تتحول نظراته إلى نظرات حادة كلها تشفي وفرح.

"ياه! كنت عارف إنك جايه جايه بس ما توقعتش تيجي بالسرعة دي".

"طب كويس يا بني أنت وفرت عليا كلام كتير قوي".

قاطعها شريف وقال لها: "بقولك إيه؟ بنتك ماكنتش بنت بنوت أصلًا، يعني أنا مش أول واحد يلمسها، دي كان معاها مفتاح شقتي وبتستغفلكم وتروح تستناني علشان مزاجها".

"اخرس قطع لسانك، الدنيا كلها تشهد وتحلف بأخلاق زينة، حرام عليك! زينة حامل".

يضحك بسخرية: "بقولك إيه، روحي شوفي بنتك كانت مع مين؟ أنتو هتلبسوني عيل ابن حرام!" .

ينفعل أبوه ويضربه بالقلم: "أنت إزاي تقول كده؟!" تنهره الام وتدفعه: "أنت بتمد إيدك على ابني علشان النجسة اللي زي ابوها؟!

اهو ابني جابلي حقي اللي ماحدش عرف يجيبهولي".

وسط صراخ ودموع وكلام غير مفهوم، تنهار أم زينة وتسرع مغادرة، يلحق بها عزيز وتجلس أمام السيد البدوي وهي تبكي بحرقة.

"أنت عارف أخلاق زينة صح، الواد ده كذاب، عمر ما حد لمسها، أنا عارفة بنتي، دي كانت ساعة شيطان، والواد ده ضحك عليها، أنا بنتي هتضيع وهتتفضح، بعد ما كنا أسياد المنطقة هنبقى لبانة على لسان الناس" .

يرد عزيز ويقول لها:"أنا هكتب اللي في بطن زينة ده باسمي لحد ما يحلها حلال، بس أنتِ لازم تسيبي البيت وتاخدي زينة وتمشي من المنطقة لحد ما تولد وبعدين نتصرف ونشوف هنعمل إيه" يذهبا إلى منطقة المطرية وتستأجر شقة صغيرة بعيدة عن أعين معارفهم، ولكن لا يسلما من أسئلة الجيران الجدد.

كلما كبرت بطنها ترد أم زينة محاولة تفادي أعينهم: "جوزها في الخليج ربنا يرد غيبته، شقيان عليها وعلى اللي في بطنها" تكذب حتى تحمي زينة ونفسها من أسئلة لا حصر لها.

تضع مولودة، تحمل جمال أمها، ولها عين أبوها، سمتها فرح

لعلها تسعد أيامها التعيسة القادمة.

سرعان ما تبدأ رحله بحثها عن مكان آخر حتى لا تسمع أسئلة من نوعية "كل ده أبوها ماجاش! مش ناوي يشوف بنته ولا إيه!"

تأجر مكان آخر لهما، وتحكي حكاية مختلفة في كل منطقة، وتقول "أبوها مات في عز شبابه وساب البت حته لحمة حمرا، كان شغال كهربائي وبعيد عنكم الكهربا مسكت فيه جابت أجله". من داخلها تريد نهاية مثل هذه النهاية لشريف كي تبرد نارهها.

تسوء حاله الأم الصحية، ترعاها زينة وهي من يحتاج إلى رعاية، أصبحت بنصف روح ونصف عقل، حالتها قربت إلى الجنون لا تستوعب لماذا فعل شريف ذلك بها! أي ذنب اقترفت لتجني هذا المصير الأسود.

يكون ده ذنب صاحبتها اللي اتريقت عليها وهي صغيرة.

ولا الولد اللي جرجرته وراها مرة وانضرب علقة في الحارة. ترسم على وجهها نظرة تشبه المجاذيب بين الضحك والبكاء ودموعها تنهمر.

***

في طنطا أصبحت الأم فخورة بشريف، ولا تؤنبه ولا تعاتبه على

ما فعل، تنظر له بفخر كأنه فتح عكة.

"قولي يا شريف، إيه اللي خلاك تعمل في بنت الكلب دي كده؟".

"فاكرة لما دخلت عليكِ الأوضه وكنتِ بتكتبي في أجندة، ولما شفتيني قفلتيها بسرعة، وقفلتِ الدرج بتاع المكتب بسرعة؟ أهو أنا ما هداش بالي غير لما راقبتك وعرفت أنتِ بتخبي فين مفتاح درج المكتب، وقرأت اللي أنتِ كتباه، ومن يومها وأنا حالف إني هاخد حقك، وعرفت من اللي قريتة القرف اللي الزفت دة كان بيعملوا معاكِ من وأنتِ صغيرة، ويا ما حكيتِ لأهلك وما حدش كان بيصدقك وكانوا بيقولوا عليكِ مجنونة، وساعات كانوا بيضربوكِ كمان لما بتقولي إنه بيعتدى عليكِ من وأنتِ طفلة".

تبكي الام بهستريا وهي تحتضنه بقوة: "أنت الوحيد اللي صدقتني، أنت الوحيد وكمان جبتلي حقي من بنته، وعملت معاها اللي اتعمل فيا وأكتر" .

"أنتِ ما تعرفيش بقى إن أنا اللي قتلت خالي، موته! بقيت أحطله حبوب الدوا اللي عملت فيه كده، وأحطها في أكله وفي الينسون بالبطيء، وكنت بخليه يشوفني وأنا بحضن بنته وبستحل جسمها قدامه وهو مشلول ومش قادر يتحرك قدامي" .

"ابن أمك بصحيح، ربنا عوضني بيك عن كل اللي اتخلوا عني"

***

تتصل زينة بعم عزيز لتخبرة بحاله أمها الصحية، فيقول لزينة: "أنا السبب في اللي حصلكم، من ساعة ما جبت شريف ودخلته بيتكم وحياتكم اتقلبت جحيم، أنا مش هسامح نفسي أبدًا. "وأنت مالك يا عم عزيز؟ هو ابنك آه بس مش تربيتك، ولا زرعت جواه الحقد والأذية، أنا بس عايزة أعرف هي ليه أمه كانت فرحانة فيا كده؟ هي للدرجة دي بتكرهنا! أنا ما فتكرش إن بابا الله يرحمه كان بيجيب سيرتها بأي حاجة وحشة".

ترد أمها: "خلاص يا زينة، هيفيد بإيه الكلام ده كله؟! اللي حصل حصل، ضحك عليكِ وما رضاش يكتب البت باسمه حتى لو عرفتيه إيه اللي هيتغير؟".

يقاطعهم عزيز: "لا، لازم تعرفوا السبب، مع إني مش فاهم برضه هو ليه عمل كل ده؟ بس أعرف سبب كره امه لأبوكِ الله يرحمه".

أم شريف من وهي صغيرة، كان عندها وساوس وتهيؤات على طول، وطبعا زمان ماكنش حد بيعترف بالمرض النفسي ولا يفهموا

ده إيه أصلًا. كانوا حبة يقولوا ده مس ولبسها جن، وشويه يقولوا معمولها عمل ومحسودة.

يضرب كف على كف ويقول: "لفوا بيها على كل الدجالين اللي في البلد، وكل واحد ينصب شوية، مرة جن عاشق، ومرة عمل مدفون في المقابر، وهي طول الوقت عندها إحساس إن الناس كلها بتبصلها وخصوصًا الرجالة حتى أخوها الله يرحمه، كانت مبهدلاه وفضحاه وطول الوقت تقول إنه بيحاول أستعفر الله العظيم إنه بيتعدى عليها، لدرجة إن أمها أخدتها مرة لدكتورة نسا تكشف عليها، وقالت مفيش محاولة لأي اعتداء أو أي حاجة، وبرضه أبوكِ هو اللي صمم في الآخر إنها تروح عند دكتور نفسي رغم معارضة أهلهم، "أنت هتخلي الناس تقول عليها مجنونة" بس هو ما سمعش الكلام وصمم ووداها وطلع فعلًا عندها حاجة كده زي انفصام، والله ما فاكر نوع المرض، أهو حاجة من الحاجات دي وطبعا تأخيرهم في العلاج ولفهم على الدجالين كل الوقت ده تعبها أكتر وزود الموضوع.

المهم بقت تتعالج وتاخد أدوية، وفعلًا بدأت تتحسن واحدة بواحدة، وأنا كنت صاحب أبوكِ ومعاه يوميًا وبيحكيلي على كل حاجة، لقيت نفسي في يوم بقوله "أنا عاوز أتجوزها" كنت فاكر إني

بحبها بس هو ماكنش حب، كان تعاطف للحالة اللي هي فيها، أو باين عليا كنت عايز أجامل صاحبي.

المهم اتجوزنا، كانت كويسة في الأول لحد ما حصل حمل، وقالت هتوقف الأدوية علشان الحمل، بس برضه كانت طول الوقت عندها شك في أبوكِ الله يرحمه، وأنا طبعًا بهديها من ناحيته. بطلت الدوا وبعدين بطلت تروح للدكتور خالص، وبدأت مشاكلنا تكتر يوم ورا يوم، لدرجة إني خلاص مابقتش طايق العيشة معاها، طلقتها وجيت على القاهرة،كنت زعلان قوي علشان سبت شريف وهو لسه ما كملش ٣ سنين، بس غصب عني أنا بحمل نفسي ذنب إني سبته لأمه، يا رتني أخدته ربيته، ما كنش حصل اللي حصل. زرعت جواه الغل والحقد ده كله، أنتم عارفين؟ أنا روحتله طنطا بعد ما كنت معاكِ يا أم زينة، قلت أقابلة بره البيت وبعيد عن أمه، علشان أتكلم معاه بالعقل، أمه اللي يجازيها كانت بتكتب كل الكلام ده في مذكرات، هو قرأها وعمل كل ده علشان ينتقم لها، أنا حاولت أفهمه الحقيقة بس طبعًا ما صدقش كلامي وافتكرني بقول كده.

***

تمر السنين، تكبر فرح وتموت والدة زينة لتجد نفسها وحيدة،

لا أحد في حياتها غير فرح. كلما نظرت في عينيها تذكرت شريف، لاتنساه أبدًا، أحيانًا تفتقده وتتمنى رؤيته رغم كل الألم والدمار الذي جعلها تعانيه فتطرد الفكرة سريعًا من رأسها وتبدأ بالبكاء.

تدخل كل يوم زينة حجرتها، وتكتب في مذكراتها ما فعل بها شريف، تشعر بفرح ابنتها وهي تقف خلف الباب، تدخل مذكراتها في الدرج ولا تغلقه عسى أن تنتقم لها فرح مثلما فعل أبوها.

سيدة العوامة

يوم مشرق من أيام الربيع المحببة إلى قلبها، فهي تعشق أشهر الربيع. تجلس السيدة فردوس في بلكونة العوامة الخاصة بها، ترى منظر النيل الهادئ التي أدمنت رؤيته ولا تمل منه طيلة الثلاثين سنة الماضية. تجلس فردوس أمامها ترابيزة دائرية، تضع عليها عدة القهوة الخاصة بها وبجانبها راديو صغير تستمع إليه.

سيدة بدينة، سمراء البشرة، ذات بنية قوية تدل على جمال فيما مضى محافظة على بعض منه، عيون واسعة متكحلة، شعر كساه الشيب ولكن تحاربه بالصبغة كل شهرين ثلاثة، ترتدي جلباب واسع قصير الأكمام، يكشف عن ذراعين ضخمين، وأظافر مطلية باللون الصدفي الهادئ. تجلس وهي سعيدة وعلى وجهها نظرة رضا. تدخل عليها خادمتها أمينة التي أصبحت ملازمة لها ولا يوجد ملجأ لها، بمعنى آخر لا تعتبرها خادمتها؛ أصبحت صديقتها وأختها ولم يعد لديهما أحد في الحياة غير بعضهم البعض.

تدخل عليها بطبق الفطار، نصين عيش بلدي، واحد مربى والآخر جبنة بيضاء، كما تفضل طول عمرها.

"فين فطارك يا أمينة؟"

"أنا سبقتك من بدري"

"طب تعالى أقعدي معايا شوية؛ متعي عينك بالمنظر الرائع ده".

تضحك أمينة وترد عليها: "أمتع عيني بإيه؟! ده المنظر ده خلاص حفظته، ده السمك اللي في النيل عرفني".

ترد فردوس: "أصلك ما بتفهميش، شوفي أنا بقالي ٣٠ سنة كل يوم أصحى أنبهر بجمال المنظر، وعمري ما أزهق منه أبدًا. عارفة! أنا نفسى لما أموت أدفن هنا". وهي تشير لأسفل النيل "زي عروسة النيل كده بتاعة زمان". يتبادلن الضحكات، وتقول لها أمينة: "بعيد الشر عنك" وفى صوتها رعشة واختناق، كمن يحبس بكاءه: "تفي من بوقك، وما تجيبيش سيرة الموت دي خالص أدامي؛ ربنا يجعل يومي قبل يومك، قفلي على الكلام وخدي افطري".

يرن جرس الباب، تهم أمينة حتى تفتح الباب.

تعود وعلى وجهها آثار عدم الفهم.

تسألها فردوس: "مين اللي بيخبط؟" ترد عليها أمينة وهي ما زالت لا تفهم: "والنبي ما أعرف! راجل مُحضر جايب ورقة وبيقولي لازم تخلو العوامة".

تندهش فردوس لما تسمعه: "عوامة إيه يا ولية اللي نخليها؟! أنتِ اتجننتِ ولا إيه؟! أكيد في حاجة غلط، أنتِ شكلك خرفتِ".

"يا ستي خدي اقري أنتِ وشوفي" تنتش منها الورقة وتقرأ وهي مذهولة: "يعني إيه نخلي العوامة؟! ونروح فين! أنا مش فاهمة حاجة!" تمسك التليفون وتكلم محامي تعرفه من فترة بعيدة ودائمًا يساعدها في الأمور التي لا تفهمها، تطلب منه المرور عليها والتحدث.

يأتي في السابعة مساءً حسب الاتفاق، أستاذ نزيه رجل قصير القامة يرتدي بدلة رصاصي مقلمة بالطول مع نظارته الدقيقة وشعره المصفف إلى الوراء، ومظهره الأنيق يدل على رجل من الزمن الجميل.

"أهلًا يا أستاذ نزيه، والله ليك وحشة، اتفضل نقعد في التراث" أعطته الورقة وأخرج نظارة أخرى من شنطته ذات إطار ذهبي ناعم.

ثم نظر إليها وبدأ بالكلام، أخذ يتكلم كثيرًا وهي لا تسمعه. بعيون مفتوحة ومذهولة وأذن لا تريد أن تسمع، أغلقت أبواب سمعها، ترى شفتيه الرفيعتين تفتح وتنغلق وهي لا تسمع، ظل

يتحدث أكثر من ساعة دون رد منها. كل ما يدور في رأسها "ماذا يقول هذا الرجل الأخرق؟ أنا اللي غلطانة أني كلمته، كل اللي بيقوله غلط في غلط" صاحت في النهاية في وجهه: "بس مفيش حاجة من دي أصلا، ومافيش من الكلام ده هيحصل". تركته ودخلت غرفتها وهي تمشي ببطء، وترفع طرف جلابيتها حتى لا تنكفيء على وجهها.

ذاهبة إلى حجرتها، وهي ترى من حولها أناس كثُر حولها، تضحك لهم ويضحكون لها، أضواء كثيرة في العوامة، وصوت موسيقى ناعمة يحيط بكل الجالسين، بعضهم يتكلمون والبعض الآخر يضحك، ومنهم من يأكل. وكل المقاعد شاغرة وهي تلف بين الحضور بفستانها الأصفر القصير الذي يبرز لون جسمها البرونزي، وشعرها الأسود يحيط برقبتها.

حسناء ولها طلة بهية يحبها الجميع، تمشي بينهم كالفراشة، ترى إن كان أحد ينقصه شيئًا.

تميل عليها سيدة من الحضور، وتقول لها من يوم ما أخذتم العوامة أنتِ وعبد الفتاح، وإحنا بنحضر أحلى حفلات عندكم، دي فوزية الدمياطي هتتجنن من الحفلات التي بقيتِ تعمليها. ضحكت بصوت عال وهي تقول: "فكريني الحفلة الجاية هعزمها"

وتختفي بين الناس مرة أخرى، تخلع حذائها بعد ليلة طويلة، ثم تشب لتقبل عبد الفتاح وهي تقول: "اليوم كان حلو قوي قوي قوي الحفلة كانت مضبوطة ومافيهاش ولا غلطة، ربنا يخليك ليا". يرد عبدالفتاح وفي عينيه نظرة رجاء: "طيب مش كفاية حفلات بقى؛ ده إحنا ما كملناش سنة في العوامة، وعملتِ ييجي تسع حفلات".

"طيب أهو يعني بقالنا ١٢ شهر ماعملتش غير تسع حفلات بس، احمد ربنا أني مبعملش كل شهر".

"الحمد لله، ده كده رضا قوي".

"بص يا عبد الفتاح، أنت حطيت شروطك وإحنا بنتجوز، وأنا كمان حطيت شروطي، وكان شرطك إني مجبش أولاد وأنا وافقت، مع أنه ظلم ليا أنك تبقى مخلف وعندك ولاد وتحرمني أنا، بس معلش أنا موافقة، وفي المقابل قلتلي هعملك اللي أنتِ عايزاه وهشتريلك العوامة، وفعلًا وفيت بوعدك، سبني بقى أعوض اللي ناقصني، وأكيد هييجي عليا وقت وأزهق وأبطل أعمل حفلات".

"لا يا ستي، افضلي اعملي حفلات وانبسطي طول عمرك ولا يهمك".

يحضنها بحب ويقبلها، تستسلم له وفي عينيها نظرة رضا مصحوبة بخبث الانتصار.

تقول بداخلها: "يعني بعد كل اللي استحملته وعملته عشان نتجور، كمان مش عايز يعملي اللي عايزاه".

***

تدخل أمينة على أستاذ نزيه بفنجان القهوة وتعتذر له عما بدر من الست، وإن أكيد في حاجة هي مش فاهماها، وتطلب منه يفهممها بالراحة. يعيد ما قال ويقولها: "ده قرار وزارة الري علشان شايفين إن العوامات الباقية دلوقتي بيلوثوا البيئة، يا ستي المهم إن ده قرار إزالة، بصراحة أنا كنت سامع عنه من فترة، بس كنت فاكر كلام وخلاص، وبصراحة بقالها ييجي ٨٠ سنة في النيل إيه اللي فكرهم بيها دلوقتي؟! المهم لما فردوس هانم تفوق كدة فهميها بالراحة، وأنا هسأل عن التفاصيل كلها وارجعلكم بعد يومين".

تدخل أمينة على فردوس غرفتها دون أن تقرع الباب، فالباب مفتوح وفردوس جالسة على الكرسي بجانب السرير، وهي تفتح درج الكوميدنو الكبير وتضع ألبومًا كبيرًا بجانبها، وتبحث في الرف الآخر على شيء، ثم تجده وتلتقطه فرحة، وتنتبه لوجود

أمينة وتناديها وتقول لها: "تعالي بقى بصي، هوريكِ حاجة أول مرة تشوفيها". ترد أمينة وهي تضحك: "يا دي النيلة! أوعي تكوني هتفرجيني على ألبوم الصور ده، أنا حفظته صم ممكن أسمعهولك وهو مقفول". ترميها بنظرة حانقة وتقول لها: "تعالي بقولك، هوريكِ حاجة جديدة، وبعدين أنتِ تطولي تتفرجي علي ألبوماتي؛ دول كلهم كانوا كبرات البلد، تعالي اقعدي".

تفتح علبة معدنية قديمة بها بعض الأظرف والصور التي من الواضح اعتنائها بها ولفها في أظرف من المشمع. تخرج بعضها، تنظر إليها طويلًا وتقبل الصور من الخارج حتى تجد الصورة التي تبحث عنها، وتخرجها من الظرف بحرص شديد، وتقربها من وجه أمينة: "عارفة يا بت يا أمينة من دي؟". تنظر أمينة وتضيق عينها حتى ترى، ولكن لا تتعرف من الموجودين بداخل الصورة. "الصورة قديمة قوي يا ست فردوس".

ترد فردوس: "دي ملكة الليل وإمبراطورة الرقص، الست بديعة مصبني، عارفة يا بت يا أمينة دي أول واحدة دخلت رقصة الشمعدان" وتقوم فردوس من جلستها وهي تستند إلى الكرسي وتقف وهي ترفع يديها وكأنها ترتدي شمعدان الرقص فوق رأسها، وتحرك أكتافها وهي تقول: "كانت توزن الشمعدان حتة

وزنة، ماحدش يقدر ينافسها فيه". تضحك أمينة على حركات فردوس وهي ترقص. "بس الصورة قديمة قوي! أنتِ توعي عليها إزاي؟".

"لا، ما هو أنا أكيد موعاش عليها؛ دي أمي الله يرحمها هي اللي كانت بتشتغل معاها، كانت بتغني وراها، كان حسها حلو قوي وتفضل تغنيلي الأغاني اللي الست بديعة كانت بترقص عليها،

أنتِ عارفة سبب حبي للعوامات دي إيه؟ واللي خلاني أصمم أن سي عبد الفتاح الله يرحمه يشتريلي عوامة، هي أمي الله يرحمها وحكايتها عن الليالي والسهرات والحفلات اللي كانت بتتعمل في العوامات أيامها، كانت بتقولي إن كل اللي ماسكين البلد، كانوا بيسهروا عندها وبتشوفهم، ومن كتر ما هي كانت قريبة من الحكام وقتها، بيقولوا سموا الفترة دي عصر بديعة، كانت أمي تحكيلي الحكايات وأنا أقعد أتخيل نفسي زي الست كده، وليا شنة ورنة والناس كلها عملالي حساب، فضلت طول عمري أحلم بالعوامة وأنا فيها وحواليا ناس كتير مبسوطين بيا، لحد ما ربنا بعتلي سي عبد الفتاح كأنه ملاك من السما، ربنا بعتهولي علشان يحققلي حلمي".

تسكت فجأة، وتجهش بالبكاء بصوت عال كأنها استوعبت فجأة قرار إزالة العوامة وتذكرت موت زوجها ورقة قلبه التي لم

ترها على أحد.

تربت على كتفها أمينة، وتساعدها في النوم على السرير من دون أن تتكلم أو تواسيها، فهي تعلم جيدًا ما بداخلها وتشعر بها حتى دون أن تنطق. تقفل باب الغرفة وتذهب إلى الجلوس في الشرفة، وتشاهد الإوز العائم في النيل، وتسرح في منظره الجميل، وتشرد بتفكيرها لتتذكر أول لقاء بينها وبين فردوس.

وهي ممسكة بيد أبيها الخشنة وهي خائفة، ولا تعرف ما الذي تواجهه بعد أن أخذها أبوها من أحضان أمها وأخواتها الخمسة الصغار لتخدم في القاهرة، بعدما طلب منه واحد جاره في البلد أن تذهب أمينة للخدمة، وزغلل عينه بالعز اللي هتعيش فيه وتعيشهم فيه. "كل المرتب بتاعها أنت هتيجي تاخده أول كل شهر، وهي كده كده واكلة شاربة لابسة عند أصحاب البيت، وأهي تخف حملها من عليك". كمان تذكرت بكائها وتوسلها لأمها حتى لا تذهب إلى الخدمة في البيوت وخصوصًا أنها صغيرة، لم تكن تمت ١٥ سنة، ولكن دون جدوى. أبوها خد قراره، تدخل وهي تجرجر جلبابها الأسود وذيله مترب من السفر، ومنديل صغير مزخرف على ضفيرة مجعدة تصل إلى تحت كتفها. علامات الخوف والبؤس يعتليا وجهها. تفكر بين نفسها "أنا عملت إيه بس علشان

أتشحطط الشحططة دي كلها؟! مش كان حسين ابن عمي خطبني وخلصني من الهم ده!". كانت أمينة تحب حسين ابن عمها، وتنتظر يوم خطبتهما، ولكن لم يكن حسين يراها من الأصل، فهي بالنسبة له طفلة صغيرة لم تكمل تعليمها، وهو متعلم ويكبرها بحوالي ستة أو سبعة أعوام، ولكنها كانت تحبه لأنه كان عطوفًا ورقيق الكلمات ويعاملها بشكل آدمي على عكس والدها الذي كان غليظ القلب والكلمات.

سرحت وهي تفكر فيه، ثم أفاقت على زغدة من أبوها في جنبها: "مالك يا بت شاردة كده ليه؟ زى ما تكون النداهة ندهتك". لم ترد عليه، طأطأت رأسها لأسفل وهي تبرطم في سرها دون أن تعلن أي اعتراض بداخلها حتى لا تتعرض لزغدة أخرى.

يدخل أبوها إلى الصالون، ويتركها بجوار باب الشقة تحتضن بؤجتها بحرص كأنها ما تبقى من أحلامها وأسرتها، وتخاف أن تتركها. تفكر وهى وحيدة مرة أخرى في حسين وتتخيله زوجًا لها وتبتسم خجلًا من تلك الفكرة، ثم تفيق وهي تكلم نفسها، وتقول: "يا بت بطلى أحلام، يعني واحد أفندى خلص الثقافة العامة وهيخلص التوجيهية، وهيبقى موظف. هيبص على بنت عمه اللي خلاص راحت تشتغل في البيوت في مصر! فوقى بقى

لنفسك وارضي بالمكتوب، زي ما أمك قالتلك". تترك بؤجتها وتريح يديها وتجلس القرفصاء بجوار الباب، كأنها رضيت بما سيحدث لها كل الرضا.

تسمع خطوات كعب عال من الداخل تأتي باتجاهها، تقوم مسرعة من جلستها وتلتقط بؤجتها وتحتضنها مرة أخرى، كأنها سبيل حمايتها ودرعها الوحيد. تدخل فردوس، مبتسمة جميلة كعادتها، ترتدي جيب واسع وقصير، وبلوزة مشجرة بزارير كبيرة، وشعرها الناعم الأسود يحيط رقبتها الممشوقة، تنبهر أمينة بجمالها وابتسامتها الرقيقة. ترحب بها فردوس وتقول لها: "تعالى يا أمينة، أنا عارفة أنك أول مرة تشتغلي، وأول مرة تيجي مصر". تهز رأسها فقط دون أن تتكلم. "عمومًا ما تخافيش مني، يوم ما تبقي عايزة ترجعي بلدكم، أنا هرجعك بنفسي".

ربتت على كتفها، وقالت لها: "بصي بقى هتنامي في المطبخ، وأنا عملالك فيه مكان كده علشان تعرفي تنامى فيه". يودعها أبوها وهو يمسك بكتفيها بقوة، وينزل على أذنيها يقول: "خلي بالك من نفسك، ولو حصل أي حاجة، خالك جابر بواب العمارة اللي جنبك".

أحست للمرة الأولى أن أباها رقيق القلب، كانت تود أن تمسك

في جلبابه وتبكي وترجوه ألا يتركها وحيدة. "وبعدين خالى جابر مين؟! ده عايش هنا في مصر من قبل ما أتولد، وبيجي البلد كل سنة مرة، وساعات ما يجيش، ولما جه منه لله شار عليك الشورة دي" كل هذا يدور في رأسها وعينها معلقة بوجه أبيها. تلمح بريق الدموع في عينيه ولا تصدق نفسها، "لما أنا غالية عليك كده يا با سبتني ليه؟". يخرج وتغلق خلفة الباب الست فردوس وزوجها، لتجد نفسها في بيت جديد لا تعرف عنه شيئًا، أشخاص جدد لا تعرفهم تعيش معهم مجبرة.

***

يطرق باب العوامة، تفتح أمينة لتجد أستاذ نزية على الباب وعلى وجهه علامات الحزن.

"ما لك يا أستاذ نزيه؟ شكلك شايل الهم كده ليه؟"

"لا وأنتِ الصادقة يا أمينة شايل همكم، أنتِ والست فردوس معرفش هتعملوا إيه! القرار طلع صح ومن وزارة الري، والإنذرات دي طلعت مبعوتة لكل أصحاب العوامات، وكلها المفروض تتزال". تطلب منة أمينة السكوت. "اسكت على إيه؟! ما كده كده فردوس هتعرف، هو يعنى القرار ده هيتعمل في السر!

بطلى كلام كثير واعمليلي فنجان قهوة، وبعد ما أشربها صحيلي الست فردوس علشان أفهمها وربنا يستر".

"طيب وحياة النبي بالراحة عليها، أنا مش عارفة هتعمل إيه لما تسمع الخبر ده".

يشعل سيجارته وهو يحدق في النيل أمامه، لا يرى شيئًا، كأن النيل جف وأصبح فراغًا. ينفث دخان سيجارته، تملأ محيطة بالدخان الكئيب المعبأ بالحزن والذكريات. يرى نفسه وعبد الفتاح وهما يتعاقدان على شراء العوامة حتى يفاجأها زوجها بتلك الهدية التي طالما كانت تتمناها، يرى عبد الفتاح وهو يدفع المبلغ المالي وهو غير مصدق أنه هيشترى خلاص العوامة، ويقول له "مش غالية شوية العوامة دي؟". يرد وهو يضحك ويهمس له: "مافيش حاجة تغلى عليها، أنا عايز أفرحها زي ما هي مفرحانى كده على طول". وبعدين بقالها معايا ست سنين، لو كانت داخلة على طمع زي ما أنت كنت بتقول وبتحذرني زمان، كان بان عليها. يقرأ العقد مرة أخرى بتمعن حتى يتأكد من كل شيء. "أديني بطاقتك" يعطيه بطاقة فردوس، يبان على نزيه ملامح الدهشة، يسكته عبد الفتاح بنظرة صارمة في ما معناه ده شيء يخصني.

تدخل علية فردوس بمشيتها البطيئة، لم يتبق منها غير عينان

واسعتان، فالزمن لا يرحم أحد، أين ذهب جمالها الخلاب وجسمها المتناسق الذي أسال لعاب عبد الفتاح؟! ينظر لها بعطف فهو لم ير منها إلا كل حب وإخلاص لزوجها حتى بعد موته.

"خير يا أستاذ نزيه؟" كأنها لا تتذكر حديثها السابق معه أو لا تريد أن تتذكر ما حدث، تتناسى كل ما قيل لها، فهي لم تكن تسمعه حينها. اختارت ألا تصدقه، "فهو رجل كاذب مُدعي لم أرتح له من قبل، لا يمكن أن أنسى أنه كان يحذر منى عبد الفتاح، ونظرات الريبة اللي كان ينظرها لي وأنا صغيرة مقبلة على الزواج، وأكيد هو اللي كان قايل لمرات عبد الفتاح زمان على موضوع جوازنا وعلى عنوان البيت بتاع الزمالك".

طرقات عنيفة على باب الشقة، تفتح فردوس باب غرفتها وتقول لأمينة: "في إيه شوفي مين اللى بيخبط كده؟" تفتح أمينة لتجد امرأة في أوائل الأربعين من عمرها ممتلئة الوجة بيضاء، ترفع شعرها شنيون ليزيد من ضخامة وجهها، قصيرة نوعًا ما، ترتدي تاير أسود شانيل وشنطة مزينة، وعقد من اللؤلؤ حول رقبتها القصيرة المكتنزة، امرأة باين عليها ملامح الثراء والغضب في نفس الوقت.

"روحي ناديلي الست اللي قاعدة هنا" تجرى أمينة لتنادى فردوس، تجدها واقفة على باب الغرفة تسمع ما يحدث في الخارج، تستجمع

قواها وتفتح الروب الوردي الذي ترتديه ليبان قميصها القصير، وتظهر مفاتنها. فهي جميلة وتعلم أنها جميلة، وإذا لم تغلب غريمتها بالكلام سوف تغلبها بحسنها وطلتها التي تخطف العيون. ببطء خرجت وهي ترسم على وجهها نظرة اللا مبالاة مع إنها كانت تنتظر زيارتها منذ فترة، بعد ما قال لها عبد الفتاح على تغيير زوجته الملحوظ، وأسئلتها التى لا تنتهى ومطاردتها له بالاتصالات في تليفون الوكالة يوميًا على غير عادتها. من يومها وهي تتصور هذا المشهد، وكانت تستعد له. ولكن اللقاء الحقيقي غير الذي كانت تتصوره، قلبها ينبض بسرعة شديدة، تشعر أن قلبها سيخرج من صدرها من شدة ضرباته، تخرج وعندما تراها السيدة لا تبين أي انبهار، وهذا غير ما توقعته فردوس، تضع رجل على رجل وهي تقفل قميصها الوردي الذي لا جدوى من فتحه.

تقول لها السيدة: "أنتِ عايشة مع جوزي بقالك أد إيه؟ أنا هتكلم على طول من غير مقدمات أنتِ أكيد عارفة أنا مين وجاية ليه" ترد فردوس: "طبعًا عرفتك لكن بصراحة مش عارفة سبب الزيارة".

تنفعل السيدة: "سبب الزيارة أنك عايشة مع جوزى في الحرام، وأنا ماقبلش حاجة زى كده وجاية أشوفك عايزة كام وتحلي عنه،

أنتِ لسه صغيرة، وأكيد هتلاقي أي راجل تعيشي على قفاه بس جوزي أنا لا مش موافقة".

تبتسم فردوس في هدوء دون انفعال، وتستأذن السيدة وتدخل إلى حجرتها وتخرج سريعًا وتناول السيدة قسيمة زواجها من عبد الفتاح، تقرأها وهي تفتح عيناها غير مصدقة، وتعيد قراءتها كمن يتمنى أن يجد غلطة في الاسم، لا تصدق أن زوجها المحترم الوقور يتجوز العيلة دي. ترمى الورقة بجانبها وتنصرف من دون أي كلمة، تنزل على سلالم البيت وهي تعتقد أن السلالم لا تنتهي، وأنها في متاهة. هل هذا كابوس سيئ وسوف تستيقظ منه مستعيذة من الشيطان الرحيم! كل ما كانت تعد له من كلام انتهى، كانت تنوي أن تجلس في تعجرف وهي تساوم تلك الساقطة على بعدها عن زوجها، كانت ترى نفسها وهي تخرج الشيك وترميه في وشها، وتخرج وهي منتصرة. لكن قسيمة الزواج غيرت مجرى الأحداث، أخرجتها مذهولة، هل يساوي عبد الفتاح تلك الفتاة بي؟! هي زوجته الثانية وسرعان ما ستصبح أم أولاده ويصبحوا إخوة وترضى هي بالأمر الواقع دون اعتراض. هل هذا مصيرها؟! بنت الحسب والنسب تتساوى مع عاملة الكازينوهات تلك! كانت تعمل فردوس في كازينو في وسط البلد، تقدم المشروبات لرواد

الكازينو، كانت تتعرض للكثير من المضايقات، ولكنها كانت تتفاداها بذكاء دون أن تعرض نفسها لأي ضغط من أحد، ودائماً ردها دبلوماسي حتى اعتادها الرواد وفهموا أنها ليست فتاة سهلة المنال.

كان من رواد الكازينو رجل وقور في أواخر الأربعينيات من عمره، دائماً يأتي ويراقبها، كانت تلاحظ مراقبته لها، ولكن في تجاهل تقابله بابتسامة رقيقة، وتأخذ طلبه وتقدمه في أدب وتنصرف بنفس الابتسامة. ظل يرتاد المكان شهر ونص متواصل، حكى عنها لزميله وأخذه ليرى تلك الفتاة الجميلة التي أثرته بجمالها.

عندما رأها وقف مذهولاً هو الأخير، كان ينظر إليها وهي تنتقل من ترابيزة إلى أخرى في خفة، وهو مبهور وكأنها أطلقت عليه تعويذة جعلته أسيرها، منذ تلك اللحظة أصبح يرتاد المكان ولكن في مواعيد مختلفة عن صديقه شوقي. ذهب مرتين فقط وفي المرة الثانية دخل وهو يبحث عنها حتى ما وقعت عينه عليها، اتجه إليها بخطوات ثابتة وهي لا تشعر بوجوده، خبط على كتفها، استدارت وهي ترسم على وجهها الابتسامة المعتادة (لزوم الشغل) ولكنها سرعان ما تغيرت ملامحها وتفاجأت، تلعثمت في الكلام وقالت: "أؤمر يا فندم أجيب حاجة لحضرتك؟" ضحك وهو ينظر

لها، فقد شعر بارتباكها وهذا الشعور طمأنه.

***

حفلة أخرى في العوامة بالزي التنكري تتابعها أمينة وهي تضحك على ملابس الناس من وراء ستارة المطبخ، وتجرى لداخل المطبخ عندما ترى السيدة فردوس قادمة، تقف على الحوض كأنها تغسل الأطباق، سرعان ما تجري حتى تشاهد هذا العالم الذي لم تكن تتخيل وجوده من الأصل، ترى من يلبس عقال وعباءة سعودي، ومن يرتدي زي الصعيدي، وتضحك على السيدات وملابسهم العجيبة. يدخل من باب العوامة رجلين يرتديان الأقنعة التي تدارى أعينهم، ولكنها تنظر بتمعن لواحد فيهم. "هل أعرفة؟" تدقق في ملامحة وخطواته، فجأة تحس كأن قلبها اعتصر ودقاته أصبح صوتها أعلى من أصوات الموسيقى والناس والكوؤس التي تتضارب ببعضها فوق بعض، تختبئ وراء الستارة مع أنها غير مكشوفة أساسًا، يدور في رأسها ألف سؤال "هو إيه جابه هنا؟ هو يكونش جاي علشاني؟ طب عرف طريقي منين؟ أكيد سأل أبويا، بيقى بيدور عليا. بس لو كان بيدور عليا كانت أمي قالتلي، ما أنا كنت في إجازة من خمس شهور وماجابتليش سيرة".

يذهب إليهم عبد الفتاح بك يرحب بهم، يرفع القناع أستاذ نزية

ويعرفه على حسين، "ده محامى جديد بيتدرب عندي في المكتب، ولد شاطر ومجتهد، وهيبقى له مستقبل كبير إن شاء الله". يرحب بهم عبد الفتاح ويمازح حسين ويقول له: "ما دام قال عليك كده يبقى أنت فعلا شاطر، نزيه ماعندوش مجاملات". يرد حسين في أدب: "دي شهادة أنا مش قدها والله".

تدخل فردوس على أمينة المطبخ، تجدها ساهمة وراء الستارة، تنظر لها بقوة: "أنتِ واقفة بتعملى إيه هنا؟".

"أبدًا يا ست فردوس، قلت أقف قريب يمكن تحتاجيني في حاجة".

تنظر لها فردوس غير مصدقة: "ماشى يا ست أمينة، اعملي فنجانين قهوة مضبوط، واطلعي قدميهم للناس اللي كنتِ بتبصي عليهم دول".

وتخرج من المطبخ وسط ذهول أمينة. "هخرج إزاي بس؟" ولكن لا تعرف كيف تتصرف، تعد القهوة وتضعها في الصينية، وترفع عينها لتنظر إلى مكان حسين ابن عمها، وتمشي في بطء وهي مطأطأة رأسها لأسفل حتى لا تلتقي عيناها به، تضع الصينية على الترابيزة دون أي كلمة. تلمح حسين ينظر إليها، ولكنه يفتعل عدم

معرفته بها، تشعر بأن المطبخ أصبح في بلد آخر وهي لا تستطيع أن تصل إليه من شدة إحراجها، لو كان ابتسم لها حتى في الخفاء كان اطمئن قلبها، ولكنه تجاهلها وكأنها لم تكن.

دخلت أخيرًا المطبخ وهى تبكي بحرقة، ودفنت نفسها ودموعها في الأطباق الكثيرة التي كان عليها أن تنجزها.

***

في جنينة النادي ينده شوقي على عبد الفتاح، ويلوح له من بعيد. يذهب له عبد الفتاح.

"فينك يا راجل؟ مش باين ليه! بقى لي كثير قوي مش بشوفك لا في النادي ولا بتيجي الكازينو اللي أنا ورتهولك".

"والله يا شوقي مشغول قوي اليومين دول، المصنع والعمال وكل حاجة عليا لوحدي، ما أنت عارف، وبعدين أصلى بيني وبينك أتجوزت من شهرين تقريبًا، يعنى لسه عريس جديد".

يضحك شوقي بصوت عال: "يا نهارك مش فايت! اتجوزت على فاطمة هانم! ربنا يستر عليك، طب المهم قولي العروسة الجديدة تستاهل دخول معركة مع فاطمة هانم ولا إيه؟".

يضحك عبد الفتاح ويهم بالمغادرة وهو يقول له: "إن شاء الله

هتقابلها قريب" لم يخن صديقه شوقي فهو لم يخبره بأنه يريد الزواج من فردوس، ولا لمح له من قريب ولا من بعيد، كل الذي قاله: "تعال هوديك مكان حلو قوي، وفي بنت شغالة هناك تقول للبدر قوم وأنا أقعد مطرحك" يعنى مفيش حاجة، لماذا أشعر بالخزى والخوف، هو كل ما واحد يقول على واحدة حلوة يبقى خلاص.

***

"تعالي اقعدي يا ست فردوس، معلش أنا قلقتك من النوم، بس أعمل إيه بقى غصب عني، عايز أتكلم معاكِ شوية، وشكلك كده فايقة وأحسن من المرة اللي فاتت. بصي، قرار إزالة العوامات ده قرار رسمي، ولازم يتنفذ كمان في وقت قصير جدًا علشان العوامات دي هيشيلوها في خلال شهر".

"طيب، أنا أروح فين؟! وأمينة اللي مالهاش غيري في الدنيا!"

وتلتقط طبق فيه عيش مقطع وتقوم وهى تنظر للأسفل وترمي قطع العيش للإوز في النيل، تلتقطه في سعادة ويأكل.

"طيب، أسيب عبد الفتاح هنا لوحده؟ طبعًا هتقول دماغك خفت يا فردوس، عبد الفتاح مات وشبع موت، آه مات بالنسبة لكم، لكن هو عايش معايا لحظة بلحظة، صوته وريحته في كل

مكان هنا، وباخذ رأيه في كل صغيرة وكبيرة، العوامة دي قضينا فيها كل عمرنا مع بعض، عايزني أسيبها وأسيبه! طب قولي يعني العوامات مزعلاهم في إيه؟ هي عملت حاجة! ما هي قاعدة في النيل زيها زي أي مركب، وبعدين ده إحنا بقينا ييجي ٣٠ عوامة أو أقل، عارف زمان يا أستاذ نزيه كانت العوامات دي أكثر من البيوت، كانوا ٥٠٠ عوامة، وبعدين بقوا يقلوا شوية بشوية؛ اللي أصحابهم ماتوا واللي سكنوا بعيد لحد ما صفصفت علينا. عايزين يمشونا ليه! العوامات زعلتهم في إيه ما بقالها سنين، دي من أيام الملك فاروق، وعدى عليها سنين وسنين، كل دول ما شفوش الغلط فيها، ودلوقتى عرفوا إن العوامات لازم تتزال!".

يرد أستاذ نزية: "عندك حق يا ست فردوس، بس هنعمل إيه! بيقولوا أنها بتلوث البيئة والنيل وحاجات كبيرة كده".

"يعنى علشان برمي عيش للوز؟! خلاص مش هرمي عيش تاني" وتمسك آخر قطع في يديها وتحدفه مسرعة للإوز وهي تقول: "دول آخر حبة، مافيش عيش تاني، يتصرف هو بقى خلاص، بلغهم أنى مش هلوث النيل والله، وبعدين الوز كانوا بيأكلوه على طول".

يضحك نزية وهو يقول: "لا، براحتك أكليه، الموضوع أكبر من

كده، أنا هديكِ أسبوع أو عشرة أيام لمي كل حاجتك أنتِ وأمينة وهاخدكم تقعدوا عندي في شقة مصر الجديدة، الشقة اللي كتبتوا فيها كتابكم أنتِ وعبد الفتاح، الشقة دي مقفولة ومحدش قاعد فيها، هبعت حد يوضبها ولو حصل أي جديد هبلغك". كان يريد أن يهم بالانصراف قبل أن تباغته فردوس بأسئلتها التي لا يوجد رد لها عنده.

تسرح فردوس في الماء، وتنظر للإوز العائم تحدثه ويحدثها: "ما تخافوش مش هسيبكم، ده أنتم ولادي، مين اللي هيأكلكم كل يوم! أنا مش همشي وأسيبكم أبدًا" ينظر إليها الإوز كأنه يفهمها ويعرف فيما تتحدث.

***

يدخل عليها عبد الفتاح يراها بلا تعبير على وجهها، يستغرب من تلك المقابلة الجافة غير المعتادة: "مالك يا فردوس فيكِ إيه؟ أول مرة آجي وماتجريش عليا زي العيال الصغيرة، هو إحنا لحقنا ولا إيه! خلاص قدمنا".

"لا أبدًا بس النهاردة مراتك جتلي البيت هنا، وكنت قلقانة بصراحة ومش عارفة أعمل إيه، طبعًا كانت فاكراني عايشة معاك

كده، بس أنا وريتها قسيمة جوازنا علشان تتأكد".

"عين العقل يا حبيبتي، وهو ده اللي مزعلك! طيب ما أنا متجوزك وعارف أن المواجهة دي هتحصل في يوم من الأيام، بس هي عرفت بسرعة قوي".

تسأله فردوس: "يا ترى مين اللي قالها؟ ممكن يكون نزية المحامى بتاعك، محدش يعرف غيره ده غير أنى بحس أنه مش مستريحلي".

"لا طبعًا مش نزيه، ده أنا أضمنه برقبتي، وبعدين في ناس كثير عارفيني، هو إحنا متجوزين في السر! يا ستي اللي يعرف يعرف".

***

مرت الأيام هادئة ومستقرة بين فردوس وعبد الفتاح لأن قرارات زوجته لم تغضب فردوس، هي طلبت من زوجها أن يطلق تلك الفتاة الصغيرة التي تزوجها، ذهب إلى منزلة ليجد حماته جالسة وزوجته وأبنائه، كان لديه ثلاثة أبناء (بنتان وولد) كأنهم ينتظرون قدومه في أي وقت.

البنتان عيونهم محمرة من البكاء، والولد الأكبر على وجهه انفعال الغضب والحزن حتى يرضي أمه، فما الذي سيغضب شاب في أن يتزوج أباه! أنا متأكد من داخلي أنه سعيد لي فهو ابني البكر،

ولكنه في النهاية رجل يشعر بما يشعر به كافة الرجال، وهو يرسم ذلك الوجه فقط لمواساة أمه. كان يعرف أن هذا الاجتماع المنعقد هو لمحاكمته، وطبعًا لصدور حكم بالإعدام عليه وكان مستعد لأي حكم.

وعندما رفض فكرة الطلاق نهائي، صدر الحكم الآخر وهو ألا ينجب من تلك الفتاة ولا يقترن اسم أولادها بأولاد بنت الشوارع كما تطلق عليها. فهم نيتهم، هم لا يريدون لأحد أن يشاركهم في ميراثه بعد ذلك أو هكذا كان يظن، وافق على شرطهم دون أن يدخل في تفاصيل معهم، فهو شرط مُرضي جدًا بالنسبة إليه، هو يحب فردوس ويريد الاستمتاع بها دون مسؤولية، جاء هذا الشرط على هواه.

***

تنده على أمينة في حزن وتجلسها أمامها وتتكلم وهي تبكي: "بصي يا أمينة، أنا وأنتِ مالناش غير بعض، هنلم حاجتنا مع بعض زي ما لمناها زمان من شقة الزمالك".

تمسح دموعها وتتابع: "أهم حاجة أنا عايزة لبس عبد الفتاح وصورنا، سيبي أي حاجة مش مهمة، العوامة كلها كراكيب وإحنا

رايحين على بيت نزيه يعنى مش بيتنا علشان نخزن فيه، الحاجات المهمة بس اللي هانخدها".

لم ترد أمينة بأي كلمة، هزت رأسها مستسلمة لكلام فردوس، يكاد حزنها يضاعف حزن فردوس، فهي عاشت في تلك العوامة أحلى أيام عمرها، وكانت ترى من الحين للآخر حسين ابن عمها في بعض المناسبات المقامة، وكانت تفرح بداخلها حتى وهو يتجاهلها ويشيح بنظره عنها كأنها غير موجودة، أخذت على تجاهله وكانت تحدث نفسها أنه يحبها ولكن لا يبوح. "وخلاص أنا دلوقتي أدام عينيه أهو مسيره هيقولي أنه بيحبني" كانت تتخيل حياتها معه وأنها سوف تصبح سيدة المنزل مثل فردوس، ويخدمها العديد من الناس وتقيم الحفلات الصاخبة هي الأخرى وتلبس مثلهم. كل مرة ترى حسين ترسم قصصًا خيالية تعيش عليها أسابيع حتى ترجع إلى عالم الواقع مرة أخرى.

إلى أن أقامت فردوس حفلة، وكانت أمينة تعلم أن حسين سوف يأتي مع أستاذ نزيه، طلبت من الست فردوس أي فستان لم تعد تحتاجه لترتديه في الحفلة، وافقت على الفور وأعطتها فستانًا أزرق بحزام على الخصر وله أكمام طويلة، أحكمت أمينة شد الحزام على حضرها حتى يبان ويبرز مفاتنها، وشمرت أكمامة الطويلة حتى لا

تتسخ، وبالغت في وضع الكحل.

استغربت فردوس ولكن لم تسألها، كانت تشعر أن أمينة طفلة صغيرة سُرقت منها أجمل أيامها، فكانت تعطف عليها وتتركها تفعل ما تريد طالما لا تقصر في عملها. بدأت الحفلة وأمينة بين المطبخ والصالة، كل دقيقة تجرى تنظر بين الحضور وتدخل الحمام حتى تثبت شعرها بالفازلين وتحكم ضفيرتها حتى لا يتطاير شعرها. حتى رأت أستاذ نزيه واتسعت عيناها حتى تنظر خلفه على حسين، فلم تره ولكن رأت فتاة خلف أستاذ نزيه يمسك بيدها حسين. فتاة من الواضح أنها من الطبقة الراقية يبان في ملامحها ومشيتها وملابسها، أحيانًا يكون لهم نفس الشكل، أغلقت ستارة المطبخ بسرعة كانها تريد أن تختفي عن العالم كله.

بعد انتهاء الحفلة سألت أمينة: "هو الأستاذ اللي بيجي مع أستاذ نزيه أتجوز؟". ردت عليها فردوس: "تقصدي أستاذ حسين الشاب الصغير؟ آه أتجوز، أنتِ شوفتيه فين؟ ده أنا ماشوفتكيش طلعتي من المطبخ خالص".

"لا إزاي يا ست فردوس، طلعت كذا مرة بس كان الفستان مخليني مش عارفة أتحرك براحتي، فخليت عم عبده هو يطلع يقدم وأنا غيرت وكملت ترويق جوه".

سمعت الخبر وتحطمت كل أحلامها الوهمية، كانت تعلم أنها مجرد أحلام، ولكن كانت تصبر نفسها وتقول بداخلها "سيأتي عليا يوم وأصبح سيدة منزل، ولست خادمة" لكن من تلك اللحظة تغير شيء ما بداخلها، كأنها استيقظت من ثبات طويل، أصبحت ترى كل شيء على حقيقته، ترى قدرها وتعرف أن لا مهرب من قدرها، وتأكدت أن حسين الذي لم يكن يراها في البلد ولا يكترث لمشاعرها الطفولية لم يرها أيضًا هنا في القاهرة.

أصبحت غير مبالية، تظهر في الحفلات وتقدم للناس المشروبات وتساعد في شيل وحط الأطباق، لا تكترث لوجود حسين أو غيره في أي مناسبة، رأته مرتين ثلاثة ثم خفت زيارته وظهوره مع أستاذ نزيه، وأصبح لا يتردد إلى الحفلات في العوامة معه حتى اختفى تمامًا. سمعت ذات مرة وهي تقدم القهوة لعبد الفتاح وهو يسأل نزيه: "هو فين حسين؟ مابقاش يظهر معاك خالص ليه؟" يرد نزية ويقول له: "يا سيدي فتح مكتب جديد بتاعه لوحده، ومابقاش خلاص تحت التدريب، أبو مراته هو اللي عمله كل حاجة، دي بنت رؤوف سلمان صاحب مصانع الصابون".

"أيوة عارفه طبعًا، هو شكله ولد شاطر وذكى وعرف يحط رجله على أول الطريق، أنت عارف إن رؤوف سلمان ده يبقى

قريب فاطمة مراتي من بعيد".

"يبقى علشان كده رجله خفت من الحفلات بتاعتنا".

***

توترت علاقة عبد الفتاح بأولاده، فأصبح غير مهتم بهم إطلاقًا غير الاهتمام العادي بمصروفاتهم وجميع مستلزماتهم كاملة، ولكن لا يذهب إلى البيت إلا مرة كل شهر، لا يظل هناك إلا بضع ساعات قليلة تقتصر معظمها في حجرة المكتب الخاص به، حتى دخلت بنته الوسطى سميرة عليه مرة داخل الحجرة، وباغتته بسؤال: "هو حضرتك فين؟" استغرب من سؤالها:"يعنى إيه فين؟! ما أنا موجود أدامك أهو".

"لا، أقصد فين من حياتنا؟ حضرتك مابقتش تيجي خالص غير كل كام أسبوع ومابنقعدش مع بعض زي زمان، ولا بنتكلم، مش معنى أن حضرتك اتجوزت وبقى ليك حياة ثانية أنك تنسى حياتك الأصلية".

انفعل عليها: "إزاي تكلميني بالطريقة دي! أنتِ جاية تحاسبيني؟! طبعًا الست والدتك هي اللي محفظاكِ الكلمتين دول علشان تحنن قلبي وأقعد معاها أنا فاهم حركاتها دي كويس".

تبكي سميرة بحرقة: "لا أبدًا، ماما ماهاش دخل، أنا اللي بكلم حضرتك علشان فعلًا أنت وحشتنا وإحنا لينا حق فيك".

"يبقى والدتك لو مش مسلطاكِ يبقى ماعرفتش تربيكِ كويس علشان تقفي وتحاسبيني كأني عيل صغير".

وهم بالانصراف وابنته غير مصدقة تغير أباها وقسوة قلبه غير المعتادة.

***

تجلس فردوس في حجرتها على السرير وهي تنظر للدولاب المفتوح، ولا تستطيع أن تعرف ماذا تفعل! تنظر إليه كأنه عالم آخر، نافذة تنظر منها على حياتها السابقة، بدل عبد الفتاح المنمقة بترتيب كما كان يحب الاهتمام بأشيائه، الروب البني الصوف معلق ومربوط حزامة بإحكام كأنها تخشى عليه من الهروب. تنظر إليه وتبكي ثم تقوم بصعوبة وتمسك به وتدفنه في حضنها، وهي تشهق بالبكاء، فهو روب عبد الفتاح وهو في أواخر أيامه، أيام مرضه الشديد. تتذكر تدهور حالته الصحية والنفسية ونهايته الحزينة بين يديها، تأخذ الروب وتضعه بجانبها في السرير وتنظر إليه وتتحدث: "يا عبد الفتاح العداوة اللي عملتها بينك وبين ولادك دي ماهاش

داعي، هو إيه اللي حصل بس؟ أنت قاطع نفسك عنهم ليه! ده بصراحة مايرضيش ربنا، ولادك جم لحد عندك مرتين وبتخلى الشغالين في البيت يمشوهم ويقولوا إنك مش موجود، هو أنت بتحاسبهم على حاجة مش موجودة وحاجة ماعملوهاش؟!".

ينفعل عبد الفتاح عليها: "أنتِ مالك بحاجة زي دي؟! أنتِ ماتعرفش بينا إيه، وماتعرفيش سميرة كلمتنى إزاي، وكانت موقفاني أدامها زي العيل الصغير اللي بتربيه من أول وجديد، دول سرقوا عمري، وشبابي ضاع معاهم على الفاضي، وعمر ما حد قدر اللي بعمله".

كانت تنظر إليه في ذهول غير مصدقة أن هذا زوجها رقيق القلب كالأطفال، هل به علة ما؟ لماذا يتوهم تلك الأفكار؟! ولاده إيه اللي سرقوا حياته وشبابه؟! "طيب يا سيدي ما أنت بتعوض شبابك أهو معايا ماتزعلش منهم، ولو جم تاني علشان خاطري لازم تقابلهم".

ولكن تمر الأيام دون سؤال أولاده عليه، كانت تشعر في عينيه بأسئلة كثيرة ولكن كبره وعنده منعة من البوح بها في قلبه، كان مع كل جرس للباب يتخيل أن أولاده قادمين يطلبوا منه السماح على ذنب لم يفعلوه، على خطأ هو أخطأه، على تركه لهم ونسيان كل

ذكرياتهم وطفولتهم وشبابهم معه، ذنب يكفروا عنه بلا سبب.

لم يقدر في شبابه أن يعترض على الزيجة، فعاقب أولاده على ضعفه. حتى هذا غير صحيح هو كان سعيد وحياته هادئة تسير دون أحداث كما حال معظم الناس، حتى رأى فردوس وقرر من وقتها أن يكمل حياته معها، وأن تلك الفتاة هي من تصلح له.

جاء إليه بعضًا من أقارب زوجته، ليتوسطوا كما كان يفكر في الصلح، ولكنه تفاجأ أنهم آتين لرغبة فاطمة في الطلاق، صُدم ولكنه كان ثابتًا إلى أقصى درجة، حتى لا يشعر أحد بإنه مستغرب هذا الطلب، تم الطلاق في هدوء ولكن إحساس الرفض كاد يجنه، فاطمة دي كمان تتطلق مني! أنا غلطان أني ماطلقتهاش من بدري، عمومًا أنا قلت لكل قرايبها أني ماكنتش عايز أطلقها علشان الولاد لكن ما دام دي رغبتها يبقى يا ريت.

بدأت حالته الصحية في التدهور شهر بعد شهر، وخصوصًا عندما علم بزواج ابنه الأكبر دون أن يعلم أو حتى يدعى إلى الفرح، كانت تلك صدمته الكبرى، "هل أنا بالنسبة لهم ميت؟ لماذا يفعلون بي هذا؟!" كل يوم تراه فردوس وهو يحدث نفسه، ولا تريد أن تكلمه لأنها سوف تلقى باللوم عليه، هو الذي فعل كل ذلك، هو السبب في ما فعلوه، لا ترى أن أولاده جاحدين بل تراه هو

المذنب في حقهم، ولكن لا تستطيع أن تواجهه بهذا الكلام. بدأت حالته بالسوء وانقطع عن الذهاب إلى المصنع ورفض رؤية أي أحد من أصدقائه، وتدهورت حالته الصحية. طلبت فردوس من نزيه عنوان بيت فاطمة هاتم حتى تذهب إليها.

عندما رأتها فاطمة واقفة على بابها لم تدعها للدخول، ونظرت إليها بتشفي: "خير؟ عبد الفتاح مات؟" ترد فردوس مسرعة: "بعيد الشر عنه، أنا جاية علشان أقولك أنه تعبان جدًا والدكاترة قاله إنه التعب اللي هو من حالته النفسية، هو نفسه يشوف ولاده لو ممكن ييجوا يشوفوه ده هيفرق معاه قوي".

تضحك فاطمة من قلبها، وكأنها انتظرت كل تلك السنوات حتى تشفى غليلها، وها قد حانت اللحظة: "روحي يا شاطرة اقعدى جنبه، خليه يشوفك أنتِ كفاية عليه". تهبد الباب في وجه فردوس بقوة. لا تلومها فهي امرأة وتشعر بما تشعر به من لذة الانتصار، ولكن لا تعلم ما هو شعور الأمومة فهي حُرمت منه بإرادتها دون حتى النقاش، ولكن تراها في عين فاطمة فهي فعلت كل ذلك حتى تنتصر لأولادها.

***

يأتي نزيه إلى العوامة وهو على وجهه علامات الارتباك والخجل، يقول لأمينة: "ناديلي عبد الفتاح بسرعة".

"سيدي مش بيقابل حد".

يبعدها من أمامة وينده عليه، يجده جالس هو فردوس في التراث لا يتكلم، يلتفت ليراه ينظر بحدة إلى أمينة، ترد عليه: "هو زقنى ودخل والله". تصرفها فردوس بحركة من يدها.

تدعوه للجلوس:"اتفضل يا أستاذ نزيه".

"خير يا نزيه في إيه؟" يتكلم عبد الفتاح بصعوبة وهو يسأل.

"مصيبة يا عبد الفتاح، ولادك رافعين عليك قضية حجر بيقولوا إنك غير مسؤول عن تصرفاتك وعندك مرض نفسي ممكن يخليك غير مسؤول عن أي حاجة، وده غير كمان أنهم بيقولوا إنك مابتصرفش عليهم".

تزعق فردوس: "إيه ده! كل شهر بيبعتوا السواق ياخد المصروف وزيادة كمان".

يرد نزيه: "ما هو السواق بتاعهم، يعنى أكيد هيشهد معاهم، ده غير إن الموضوع بتاع المصاريف ده كان ودي، يعني لا في ورق ولا حاجة تثبت، وأنت عارف مين اللي رفعلهم القضية؟ الواد

اللي اسمه حسين اللي كان بيشتغل عندي أول ما جه من الأرياف وماكنش عارف حاجة، وطبعا بعد ما عرفته على الناس اللي من الطبقة دي أنتهز الفرصة وأتجوز منهم، وأول ما يعض يعض في الإيد اللي اتمدت له".

تسمع أمينة كل هذا الكلام، وتريد أن تقول لهم انه أبن عمها الذي تبرأ منها ولم ينظر لها حتى فهو يعمل كده وأكثر. كل هذا وعبد الفتاح لا ينطق وسط انفعال نزيه وفردوس.

يدخل إلى حجرته ويغلق على نفسه دون كلمة. مر بحالة اكتئاب وتدهور حالته الصحية يوم عن يوم خصوصًا بعد ما ربحوا أولاده القضية وأخذوا كل ممتلكاته، ما عدا العوامة لأنها كانت باسم فردوس وبعض المدخرات البسيطة وقطع الحلى الذهبية الخاصة بفردوس.

لم تحزن فردوس على أمواله، فهي كانت حزينة على عبد الفتاح، تراه أمامها يذبل يوم بعد يوم ولا تستطيع أن تفعل له شيئًا. تعيش على ذكرى أجمل سنوات عمرها، تتذكر حبه لها التي لم تر مثله في حياتها. كان عوضًا لها عن كل لحظة حزن مرت بها، إلى أن جاء يوم وفقدت أغلى ما تملك ومات عبد الفتاح في هدوء كما كان طيلة عمره.

عندما رأت أولاده يبكون في دفنته، رق قلبها لهم فهم أيضًا ورثوا العند والتكبر من أباهم، هم الاثنين خاسرون، هو خسر حبهم وعطفهم وهم خسروا آباهم للأبد.

توالت السنوات عليها، لا تعلم كيف؟ ولكنها مرت.

تتذكر أمينة خروجها مع فردوس كل فترة لتبيع فردوس قطعة من حليها حتى تستطيع أن تصرف على نفسها، وإصرارها على إعطاء أمينة راتبها كل شهر رغم ضيق حالها، ولكنها كانت دائمًا تقول لها: "أنتِ اشتغلتِ عندي عمرك كله، وأبوكِ الله يرحمه كان بياخده منك يجهز أخواتك ويصرف عليهم لحد ما مات، وأنتِ اللي بقيتِ تبعتِ لأمك مرتبك لحد ما ربنا افتكرها، يعني فضلتِ عمرك كله تشتغلي من غير مرتب، أهو خدي قرشين جهزي نفسك".

تضحك أمينة وتقولها: "أجهز نفسي بعد العمر ده كله؟! إلا ما رضيت أتجوز وأنا في عز شبابي".

"والله أنتِ غلطانة يا أمينة، ما تجوزتيش ليه وأنتِ صغيرة؟".

"يا ست فردوس يعنى كان بيجيلي مين؟! مرة بواب عمارة، مرة واحد مراكبي من اللي بيشوفني وأنا بأكل الوز، كلهم على باب الله، يعنى هفضل أشتغل برضه طول عمري، ده غير أني هروح باليل

لواحد يتأمر عليا ويهد حيلى أكثر ما هو مهدود". يدخلا في نوبة ضحك.

ثم تكمل أمينة وتقول: "يعنى لقيت أبويا وأمي أحق بالمرتب، وبصراحة مفيش واحد من اللي جم يملى عيني".

"طيب، اشمعنى لما أخوكِ جه ياخد مرتبك، زعقتِ فيه واتخانقتِ معاه ولميتِ عليه الدنيا؟".

"أنا قلت ده جاي ياخدني في حضنه، ويقولى تعالي ارتاحي من الشغل من وأنتِ عيلة بضفاير وأنتِ بتشتغلي، اقعدي معايا في بيتي وسط عيالي ومراتي، لقيته بكل نطاعة بيقولي هجيلك كل يوم ٢ منه أخد منك الشهرية، ما دريتش بنفسي غير وأنا بمسك فيه وبكرشه من العوامة، أنا ملقتش حظ مع أهلي، لكن ربنا عوضنى بيكم، ماكنش حد عمره هيعمل معايا زي اللي عملتوه معايا".

***

تتذكر أمينة كل ما مرت به من أيام جميلة، تبكي بحرقة وهي تلملم ما تبقى من ذكرياتها، تتحسس الجدران بيديها التي أهلكها العمل، فأصبحت يابسة جافة. كل ركن هنا في العوامة له ذكرى، كل كرسي جلس عليه ضيوف الست فردوس في حفلاتهم التي

كانت لا تنتهي.

تنده فردوس بصوت مبحوح محشرج على أمينة وتستغيث بها، تجري أمينة عليها وهي في حالة فزع تسألها.

"في إيه يا ست فردوس؟ مالك!".

ترد عليها وهي تكاد تغيب عن الوعي: "صدري حساه طابق عليا، مش عارفة أخذ نفسي، قلبي بيتعصر".

تسرع أمينة لتنده على بواب العوامة المجاور لينجدها.

يدخل عليها أستاذ نزيه، ويعاتبها بلوم: "إزاي يا أمينة ما تكلمنيش أول ما تعبت وإيه المستشفى دي كمان! يلا علشان أنقلها مستشفى كويسة".

ترد أمينة: "أنا ما لحقتش، كانت هتروح مني، نديت على الحارس اللي بره، وقفلي تاكسي، وأول مستشفى نزلنا فيها، ادعيلها بس تقوم بالسلامة، الدكتور بيقول عندها ذبحة صدرية، أنا مش عارفة أتكلم معاه، على طول متسربع وباين عليه كده حاسس أني ست على قدي، فمش مهتم بيا وبكلامي، والنبي أفهم منه وأساله هتقعد هنا أد إيه، وحالتها صعبة ولا ربنا هيسترها معانا".

يرد عليها أستاذ نزيه:

"ما تقلقيش يا أمينة؛ أنا هتكلم معاه وأشوف كمان هينفع ننقلها وحالتها تسمح بكده ولا لا، قوليلي يا أمينة هي فردوس رجعت تشرب سجاير تاني؟".

ترد أمينة بتردد: "يعني يا أستاذ نزيه، كل فين وفين كده لما بتشرب سيجارة تنفس بيها عن نفسها".

يقاطعها في حدة: "أنتِ بتقولي إية؟! واحدة في سنها وعندها سكر وضغط كمان تدخن أنتم مجانين ولا إيه! وبعدين تقولوا جالها من إيه الذبحة؟!".

ترد أمينة في استغراب: "لا يا نزيه بك، أنت عارف كويس أن ست فردوس جاتلها الذبحة من الزعل والغم لأنهم هيطلعوها برة العوامة ومش هيبقى لها مكان تاني، ما طول عمرها بتشرب سجاير وماجلهاش حاجة، هي تعبت من الخبر المشؤوم، إلهي ينتقم من اللي كان السبب".

يرد نزيه: "وهي يعني هتقعد في الشارع! ما أنا مجهز لكم شقة روكسي وهتفضلوا مع بعض". يقاطعهم الطبيب المعالج لفردوس، ينادي على نزيه ليتحدث معه ويخبره بتطورات الحالة. يسأل نزيه الدكتور إذا كانت حالتها تسمح بأن يدخل يتكلم معاها.

يخبره الطبيب بإمكانية التحدث معاها مع مراعاة حالتها وعدم التحدث كثيرًا.

"باين عليكِ عجزتي يا فردوس، أنا كنت لسه بشوفلك عريس، لكن دلوقتي خلاص بقى" تبتسم فردوس وهي غير قادرة وترد عليه: "لا، ما تطلعش عليا سمعة، هات أنت بس العريس وشوف أنا هعمل إيه".

يقبل رأسها وهو يضحك، ويقول لها: "كده أنا اطمنت عليكِ، أنت هتباتي النهاردة بس في المستشفى علشان يتابعوا حالتك، وبكرة إن شاء الله هتطلعي عليا، وأنا وأمينة هنلم الحاجات الباقية في العوامة".

ترد فردوس وهي لا تقوي على الكلام وتشير بيديها: "لا، أنا هروح الأول على العوامة، في حاجات لازم أنا أجيبها ومحدش هيعرف يلمها غيري، وما تتعبنيش أكتر ما أنا تعبانة، مش قادرة يا نزيه بس لازم أروح العوامة الأول".

يرد نزيه في استسلام ويقول لها: "خلاص، أنا بس وافقت علشان أنتِ تعبانة بس يومين بالظبط وهاجي أخدكم اتفقنا؟".

"اتفقنا".

يغادر المستشفى ويود أن يصطحب أمينة معه، ولكنها ترفض بشدة وتقول له: "أنا هنام على الكرسي جنبها، مش همشي واسيبها".

لا يحاول نزية مناقشتها أو إقناعها لأنه يعلمها جيدًا ويعرف أن محاولته سوف تفشل في إقناعها، يضع في يديها بضع أوراق مالية ويحكم قبضته حتى لا ترجعهم، ويقول لها: "اشتري حاجة تأكليها، ولو احتاجتي أي حاجة كلميني، وأنا هاجي علشان أخرجكم الصبح".

يأتي الصباح على أمينة التي أنهكها النوم جالسة، فكانت لا تستطيع المشي من تيبس جسدها ولكنها فرحة لخروجهم من المستشفى، توقظ فردوس ويأتي الطبيب ليطمئن على حالتها ليجدها تحسنت.

يخبر أمينة ببعض التعليمات التي يجب مراعاتها حتى لا تنتكس مرة أخرى، تسمعه أمينة في حرص وهي تطمئنه أنها ستنفذها كلها.

يودعهم الأستاذ نزيه على باب العوامة بعد أن يوصي فردوس بعدم التدخين واتباع أوامر الطبيب.

تلح عليه فردوس في الدخول إلى العوامة لشرب فنجان شاي معها.

ولكنه يعتذر لظروف العمل ويوعدها بقدومه ليلًا للاطمئنان عليها والجلوس معًا.

تدخل العوامة هي وأمينة، تصحبها أمينة تجاه غرفتها لترتاح، ولكن فردوس تعترض وتقول لها: "لا، هاتيلي عدة القهوة وطبق في عيش متقطع علشان الوز زمانه ميت من الجوع، محدش أكله وأنا في المستشفى".

تضحك أمينة باستغراب: "إيه النشاط ده كله؟! بس بقولك إيه يا ست فردوس أنا هجيب طبق العيش المتقطع، لكن عدة القهوة دي مش هقدر، أنتِ ناسية!".

تقاطعها فردوس في حدة وصوتها يعلو وهي تقول: "أنتِ هتتحكمي فيا ولا إيه! اللي أقوله هو اللي يتنفذ".

تضحك أمينة بصوت عال وهي تقول: "لا كده خلاص، أنا اطمنت عليكِ حمدًا لله على سلامتك، ثانية واحدة وهجيبلك كل حاجة".

تنتهي فردوس من شرب قهوتها والتأمل في النيل كما تحب، وتدخل إلى حجرتها لتستريح.

تساعدها أمينة في ارتداء ملابس النوم الخاصة بها، وتطلب منها

فردوس روب زوجها لتحضنه وهي نائمة.

تبتسم أمينة وهي ترى فردوس في حالة حب مستمرة، حتى بعد وفاة عبد الفتاح بك؛ لم تنسه يومًا.

تخرج من الحجرة وتبدأ في جمع الأشياء الضرورية وألبومات الصور الخاصة بهم، حتى تفرغ العوامة.

يغلبها النعاس فتستسلم له وتنام وتقول في نفسها "غدًا أكمل ما تبقى الدنيا مش هتطير".

تستيقظ أمينة صباحًا نشيطة كعادتها.

تمسك شنطة سفر وتدخل حجرة فردوس لتجمع الملابس الخاصة بها، وملابس عبد الفتاح كما طلبت منها. تبتسم عندما تجد فردوس ما زالت تحتضن روب المرحوم، تجمع الأشياء الضرورية وألبومات الصور الخاصة بها.

***

تصرخ وهي تكلم أستاذ نزيه: "تعالى بسرعة".

يأتي ومعه طبيب ليبان من ملامح الطبيب أن فردوس توفاها الله، وأخيرًا سوف تلتقي من جديد بحبيبها، وسط دموع أمينة

ومواساة نزيه لها.

تقول: "كانت بتقولي نفسي أندفن في النيل، أهي ماتت في العوامة، ربنا مارضاش يزعلها، ماهنش عليه تعيش برا العوامة ولا كانت عايزة تسيبها أبدًا".

تبكيها بحرقة وهي تقبل يدها مودعة، يربت على كتفها نزيه ويقولها: "أنتِ هتقعدى في شقة روكسي زي ما اتفقت مع فردوس الله يرحمها، مفيش حاجة هتتغير".

تنظر له وهي مدمعة العينين وتقول له: "لا، وديني عند حسين ابن عمي".

-تمت بحمد الله-

زهور ذابله

اليوم سأحكي لكم قصتي وسري الذي احتفظت به طول حياتي، فالذين خشيت منهم أو خشيت عليهم قد فقدتهم جميعًا، فما عدت أخشى شيئًا.

ولكن قبل أن أسرد لكم قصتي، أريد أن أسألكم سؤالًا مُهمًا: هل تؤمنون بمقولة الحدث المناسب في الزمان غير المناسب، أو بمعنى أسهل الفرص الضائعة؟

دائمًا أرى الناس وهم يقعون في فخ الفرص الضائعة، ولا أفهم لماذا يحدث هذا؟ لماذا تحقق ما نتمناه بعد فوات الأوان، وبعد أن فقدنا اهتمامنا وشغفنا بما تعلقنا به سابقًا؟! هل يريد الله أن يختبر صبرنا ورضانا بقضائه وقدره؟!

أم هو سوء حظنا؟! فقط كل تلك الأسئلة كانت دائمًا ما شغلت بالي وكنت أريد إجابة لها، ولكن دائمًا لا أجد لها إجابة. سوف أعطيكم مثالًا:

الموظف البسيط الذي يسعى حتى يحصل على وظيفة أفضل بمرتب أعلى ويبعث إلى جميع الشركات بمؤهلاته ومميزاته، ولا

يحصل على رد. بعد أن ييأس من كل هذا، يسافر إلى الخارج حتى يعمل ويوفر لنفسه قرشين، حتى لو كان هذا العمل لا يناسب، ولكن ما باليد حيلة ثم بعد سفره واستسلامه لقدره، تحدثه والدته وتقول له بين الكلام إن الشركة التي كان يتمنى العمل به راسلته، ولكنها قالت لهم أنه الآن يعمل بالخليج ولا يحتاج لكم. يشعر بالحسرة في قلبه ولكن لا يستطيع أن يصرخ في أمه ويقول لها لماذا لم تخبريني من وقتها؟ هل تعلمي ماذا فعلت فيَّ الغربة؟! ولكن لا يظهر أي شيء وتستمر حياته، وهو يشعر بفرصته الضائعة. لا أعرف لماذا أسألكم هذا السؤال ولكنه خطر ببالي.

والآن دعوني أحكي لكم قصتي كما قلت لكم من قبل، سري الذي أخفيته بداخلي كل تلك السنين، ولكن لا تحكموا عليَّ بها، فلقد قلت سابقًا أن العدل تحقق في حياتي كاملًا، أرويها لكم وأنا في شرفتي أنظر إلى الفضاء الواسع من حولي، أو كما يخيل لي أنه واسع. لا أرى العربات الكثيرة ولا أسمع ضجيجها الذي يهيج أذني. أشم رائحة الياسمين الذابلة التي أحرص على زراعتها، ولكنها تذبل سريعًا ولكني لا أيأس أبدًا منها، وأهم أن أشتري واحدة أخرى أهتم بها بعناية وتموت أمامي وتذبل سريعًا، وأعيد الكرة مرة تلو الأخرى. رائحتها تغطي على رائحة الشارع الكريهة.

دائمًا أجلس في شرفتي أنظر على الجنينة المقابلة لبيتي، كانت في الماضي جميلة ومنمقة قبل أن تزدحم بالباعة، والناس يفترشون أرضها. وأين تلك المقاعد الخشبية الجميلة؟! خفق قلبي بشدة وأنا أنظر ولم أجدها. وضعت يدي على خدي ونظرت على ناصية الشارع، ظل قلبي يدق كأني رجعت بالعمر حتى أصبحت الفتاة العشرينية، كان يدق مثلما يدق عن رؤيتي لطارق.

كان يقف قبالة الشارع حتى يراني في الشرفة، ويجلس على المقاعد الخشبية التي لم تعد موجودة، يجلس ينظر إليَّ وأنا أراه، وبعد فترة يتململ في جلسته ويحاول أن يبلغني أن تلك المدة ونحن ننظر إلى بعضنا بعضًا طالت، وأن أهم بالنزول. وعندما ينهض من على المقعد الخشبي أعلم أن صبره قد نفد، فأهم بالنزول سريعًا حتى لا يغضب.

كنت أتلذذ بإثارة غضبه وانفعاله الدائم، أحب أن أرى تقاسيم وجهة المثيرة وهي ثائرة كالبحر، أمشي ناحيته في تمهل ودلال، أول ما يراني يسبق على أول الشارع حتى لا يرانا أحد من الشرفة.

لقد نسيت أن أحكي لكم كيف تعرفت على طارق، أتتذكرون زرعة الياسمين الخاصة بي؟!

أنا أحب الياسمين منذ أن كنت صغيرة، وهو كان صاحب مشتل أذهب إليه أنا ووالدتي نشتري منه ما يلزمنا من زهور الزينة للشرفة، كنت دائمة التردد على المكان حتى أصبح معظم العمال يعرفونني جيدًا.

ذهبت مرة ورأيته، وكانت أول مرة أراه في المشتل، وكنت بمفردي عندما رآني أحسست بقلبي يدق بشدة، مع أنني لا أعرفه ولكن نظراته القوية التي كادت تخترقني زادت في خفقان قلبي. تعمدت ألا أعيرة أي انتباه فذلك النوع من الرجال يعلم جيدًا أن أي نظرة منهم للفتاة سوف توقع بها. كان طويل القامة ذو جسم ممشوق وشعر أسود ناعم وغزير، عيناه واسعتان تكاد تبتلعني.

انشغلت عنه مع العامل وأنا اشتري الياسمين مجددًا، وهممت بالانصراف دون أن أنظر إليه. شعرت به وهو ينظر إليَّ ويتبعني وأنا أخرج. مشيت مشيتي المتمهلة كأن الأمر لا يعنيني.

ظللت أيامًا وأيامًا أقاوم نفسي حتى لا أذهب إلى المشتل، وأدعو الله أن تذبل زهرة الياسمين سريعًا حتى أراه مرة أخرى.

ذهبت أنا ووالدتي بعد فترة ليست بطويلة، وأنا أتمنى رؤيته مرة أخرى، تأنقت أكثر من العادة استعدادًا لرؤيته.

ظللت أطوف بنظري حتى أجدة، ولكنه غير موجود. خاب أملي وشعرت بالإحباط وأردت أن أغادر سريعًا، ولكني تمهلت حتى لا تلاحظ أمي تغيري الملحوظ.

غادرت وأنا أجر أذيال الخيبة.

مرت أيام، وكنت أجلس في الشرفة أنظر على اللا شيء كعادتي، حتى رأيته جالسًا على المعقد الخشبي المقابل لبيتي، لا أعرف كيف أتصرف؟! جريت سريعًا إلى الداخل، ودخلت إلى غرفتي وأغلقت الباب وأنا أكاد أطير فرحًا، أجرى في الغرفة ولا أعرف ماذا أفعل! هل هو فعلًا صاحب المشتل الوسيم؟ هل هو معجب بي لهذا الحد؟! (أسئلة كثيرة تدور في رأسي ولكني لا أشعر سوى بدقات قلبي العالية التي تكاد تسمع جميع من بالبيت رغم إغلاق باب حجرتي).

جريت مرة أخرى مسرعة إلى الشرفة، وعند بابها أخذت الإبريق المخصص للزهور، وافتعلت انشغالي بسقيها ويداي ترتعشان من ارتفاع الدم داخل رأسي، هم واقفًا ونظر لي نظرته الطويلة التي كادت تخل توازني وأقع أرضًا أنا وزهرة الياسمين، وضحك واستدار واختفي من أمامي.

كياني كله يهتز، ظللت متجمدة في مكاني أنظر تجاه المعقد الخشبي كأنه سوف يظهر من جديد جالسًا فوقه.

أصبحت أنتظره كل يوم في نفس الميعاد، تكررت زيارته وجلوسه في الحديقة، وتوالت زيارتي إلى المشتل. بدأ بالحديث معي بجرأته الواضحة عليه، لم أصده أو أتصنع الخجل، كنت فرحة بكلامه معي، وطريقته الغربية في التعبير عن إعجابه بي. لم أقابل رجلًا مثله، جريء جدًا لحد الوقاحة أحيانًا وهو ما كان يعجبني به حقًا.

أكثر ما كان يميز علاقتنا هو الوضوح، كل منا لا يفتعل تصرفات ليجمل نفسه، ما هذه الكيمياء الرهيبة بيننا؟! تعرفنا في وقت قصير جدًا، وكل منا يشعر أن مر على علاقتنا سنين. كنت أرى العالم عن طريقه وكأنها المرة الأولى التي أرى بها كل شيء، وهو أيضًا كان منبهرًا بطريقة تفكيري وانفتاحي على الحياة، وعدم وضع أي قواعد لحياتي، ودائمًا كنت أضحك وأقول له إن الإنسان مسير لا مخير.

"يعني كل اللى بعمله ده مقدر ومكتوب، كتب لي أن أحبك ولا أستطيع الكف عن التفكير بك". يضحك بتعجب من طريقة تفكيري، ولكنه كان معجب بها جدًا.

لم أكن تلك الشخصية الجريئة اللا مبالية بشيء حولها من قبل، ولكن هو من فعل بي هذا، لقد أحببت جرأته وطريقته الواضحة في إبداء ما بداخله، وقلت في نفسي أن أتبع نفس منهجه حتى أعجبه أكثر، وقد كان.

اتفقنا بلا اتفاق أن نصبح عاشقين دون قواعد، دون حدود، دون خجل. أصبحنا عراة أمام أحدنا الآخر. أعجبني ضمته لي لصدره، وتقبيلي دون حساب لدقائق طويلة لا أدري، لعلها ساعات! وأعجبته بعدم تصنعي الخجل والتمنع المعروف ونحن في النهاية راغبات. كانت أيامنا جميلة كالحلم لا يشوبها شيء، حتى والدتي لا تنتبه إليَّ فهي سيدة طيبة إلى أبعد حد وكبيرة في السن، وأختي الكبرى متزوجة في الإسكندرية ولديها طفلين، لا تهتم بأخبارنا، فقط تطمئن علينا بالتليفون وتأتي كل فترة لتزورنا، والدي توفي وأنا في عمر صغير جدًا، تقريبًا ٤ سنوات، لا أتذكر ملامحه إلا من الصور، لا أعلم ما عاطفة الأب ناحية ابنته، ولا أعرف ما مشاعري تجاه أبي لأني لم أكن وقتها أدركها!

أيعقل أن يكون فقد هذا الإحساس هو ما جعلني أتعلق بطارق بهذا الشكل؟! فهو ملأ فراغ إحساسي، وعوضني عن كل المشاعر التي لم أمر بها من قبل، تقبيل يدي دائمًا كان يذكرني بتلك القبلة

الصغيرة التي كان والدي يطبعها على يدي، أتذكرها كأنها حلم بعيد عندما يضمني إلى صدره بحنان وقوة يرجع بي كل الأحاسيس البعيدة التي كدت أنساها.

وهو من أحياها من جديد. رأيت فيه كل الرجال، ليس الرجال فقط، رأيت فيه كل الآباء الذين كانوا يذهبون بأولادهم ذهابًا وإيابًا إلى المدرسة، ويودعوهم على الباب ودموعهم متحجرة في لهفة للقاءهم ثانية بعد بضع ساعات.

كنت أرى هذه النظرة في عين طارق، وأتذكرها في كل عيون الآباء فيما مضى. تذكرت معه مشاعر لم أكن أعلم من الأساس أنها موجودة، ولكني تذكرتها سريعًا عندما عشتها من جديد.

لم نكتفِ أنا وطارق بمقابلتنا في الخارج أو في المشتل، كنا نريد أكثر وأكثر. اتفقت معه أني سوف أذهب إلى المشتل لأشكو من سوء حالة الزهور التي ابتعناها منهم وأفتعل أي مشكلة، وكان قد وصاني فيما قبل بعدم ري الزهور حتى تذبل.

ذهبت أنا وأمي وبدأنا في الكلام مع المسؤول هناك، ثم خرج طارق وبدأ في تهدئتي والكلام معي، وكل ذلك متفق عليه حتى استقرينا على أن يرسل معنا عامل ليرى الزهور ويراعيها كل فترة،

وهو بدأ يزورنا مع العامل وأمي موجودة، وكانت تشكره كثيرًا على تعبه ومجهوده، وتوبخني بعدما يرحل وتقول لي: "كان لازم تعملي مشكلة؟! يعني الراجل بنفسه ييجي يشوف الورد بتاع سيادتك، هو كده يصح؟ أنا ببقى مكسوفة منه قوي".

أرد عليها في استهتار: "يا أمي ده شغله، وبعدين فيروز صاحبتي قالتلي أنه كان بيعمل كده مع الزرع بتاعهم، يعني إحنا مش الناس الوحيدة اللي بيزورهم".

كان ما يدور في رأسينا، أن يصبح وجهه مألوف في بنايتنا حتى يعرفه الناس ويعتقدوا أنه قريب لنا.

حتى جاء يوم، كانت أمي ذاهبة لزيارة أختي في الإسكندرية، وكنا اتفقنا من قبلها طبعًا على ذهابنا معًا ورتبنا الهدايا لأولاد أختي، وحتى تحضير ما سأرتديه في السفر، وكل شيء وفيه الاتفاق مع العربة والسائق على ميعاد السفر.

وعندما وصلت العربة وبدأت في ارتداء ملابسي، أدعيت أني لا أستطيع وهرعت على دورة المياه، وبدأت في إصدار أصوات مثل التقيؤ حتى تسمعها أمي، وخرجت وأنا منهكة لا أقوى على الوقوف، سندتني أمي وذهبت مسرعة إلى المطبخ وعادت بنصف

لمونة حتى أمتصها لتهدئ هذا القيء المفاجئ.

وتنشف عرقي المزيف على جيبني، هدأت قليلًا وظللت أقنعها قرابة الساعة أن تتركني وتسافر هي لأختي. كانت رافضة تمامًا ولكنني أقنعتها بعد عناء كبير حتى في النهاية وافقت على مضض، وسافرت وهي قلقة ولكن العربة وصلت وأنزلنا الأشياء الذاهبة لأختي، فسافرت. وأنا بدأت في إعداد نفسي لمقابلة طارق، انتظرته في الشرفة حتى رأيته موجود على مقعده الخشبي، أشرت له أن يصعد، وكنا متفقين على تلك الإشارة طبعًا من قبل. لم نترك أي شيء للمصادفة؛ كل شيء معد من قبل.

لن أحكي لكم عن تلك الليلة ليس كسوفًا أو خوفًا، ولكن لأنها ليلتي الخاصة؛ لا أريد أن يشارك أحد تفاصيلها معي، يكفي أن أقول لكم أنني كنت ليلتها مثل طائر في السماء يحلق بجناحيه ويضرب الرياح ويشقها ليعبر إلى السماء البعيدة.

ولكن سأذكر لكم تفصيلة واحدة، وهي: عندما كنت سأخلد إلى النوم ووضع عليَّ الغطاء وأحكمه جيدًا، تذكرت يد والدي وهي تفعل الشيء نفسه. ألم أقل لكم أن طارق كأنه أبي، وعاد من جديد ليحيى بداخلي ذكريات لم أكن أتذكرها، ولا أعرف إذا كنت بحاجة إلى تذكرها من الأساس. منذ تلك الليلة لم نكتفِ بنزهات

السيارة ولا كازينوهات النيل، أصبحنا نراها لا تناسبنا ولا تكفينا.

يبحث عن شقة زميلًا له خالية، ويطلب منه المفتاح لقضاء بضع ساعات بها، لا نستطيع الاستغناء عن بعضنا البعض، أصبحنا شخصًا واحدًا لا يفترق.

أقنعت أمي إني التحقت بوظيفة في شركة الكهرباء، حتى أستطيع الخروج صباحًا دون الحاجة إلى اختلاق أعذار كثيرة، وخصوصًا إنها مؤخرًا بدأت تعلق على خروجي الذي زاد كثيرًا.

كانت أمي تخطط لزيارة أقاربها، وأنا كالعادة تهربت من تلك الزيارة بحجة أني مرهقة من العمل، وفعلًا في بعض الأيام التي كنت لا أقابل فيها طارق، اضطر إلى النزول والجلوس في أي مكان حتى يأتي ميعاد انصرافي من العمل الوهمي.

فتقبلت عذري بكل رضا ولم تعترض، فكما قلت سابقًا هي طيبة حنونة لا تغضبني أبدًا، ودائمًا أقاربنا كانوا يلوموها ويتهموها بإفسادنا من كثرة تدليلها الزائد، ولكن كانت ترد عليهم بأن بناتي تيتمن منذ صغرهم وحُرمن من حنان الأب وعطفه، وأنا سأتكفل بكل ما فقدنه.

كنت أنا وطارق، قد اتفقنا منذ الصباح على زيارتي في المنزل عند

مغادرة أمي، لقضاء وقتنا الخاص بعيدًا عن عيون الناس ولننفرد ببعضنا بعضًا.

دامت علاقتنا ٦ أشهر، ولكنها كانت علاقة ذات إيقاع سريع جدًا، فعلنا ما يفعله العاشقين في سنين، فلقد مررنا بجميع مراحل الحب، ولكننا اجتزناها سريعًا؛ علاقتنا كانت دون تكلف أو خجل أو تصنع، أو محاولة منى أو منه لافتعال الدلال والتقل لكسب قلب الأخر، فكل منا كما قلت لكم كان يريد الوضوح منذ البداية، عشنا قصة حب كقصص العاشقين قديمًا لم يكن مثلها أبدًا. مثال: (روميو وجوليت، قيس وليلي، عنتر وعبلة).

عدوا جميع العاشقين وضعونا معهم، كنا مثلهم أو أكثر، وكعادة قصص الحب الجميلة، انتهت قصتنا نهاية مأساوية مثلهم، ألم أقل لكم أننا مثلهم أو أكثر؛ لم أكن أزايد ولكن هذه الحقيقة.

كتبت نهاية القصة بيدي من دون أسباب أو مبررات، أو لعلكم سوف تعرفون أسبابي لاحقًا.

أتتذكرون عندما قلت لكم أننا أعددنا اللقاء في منزلنا بعد زيارة أمي لأقاربها، أهو ذلك اليوم المشؤوم. انتظرته كالعادة في الشرفة، ثم رأيته جالس كعادته على المعقد الخشبي، أشرت له برأسي إشارة

يفهم معناها أن يصعد.

انتظرته خلف الباب، سمعت خطواته وهو يصعد، فتحت الباب، دخل بثقة كالعادة، فهو أصبح وجهه معروف ويتردد علينا كثيرًا.

دخل وأغلق الباب وأخذني في حضنه بقوة، وهم بتقبيلي، نظرت له بلوم، وقلت له: "لماذا الاستعجال؟ ادخل الشقة أولًا".

لم يفهم كلامي، لأن تلك ليست طريقتي معه؛ كل شيء كان بيننا من دون حواجز.

قال لي: "لا أستطيع أن أتمالك نفسي، وخصوصًا كلما يقترب موعد زفافك وأشعر أنني سأفقدك، وأن شخص آخر سوف يأخذك مني ولن تصبحي ملكي بعد الآن، أكاد أجن".

(أزحت يده من على خصري ببطء ونظرت له نظرة تحدي غير مفهومة).

قلت له: "وما منعك أن تأتي لخطبتي؟! وقتها سوف أصبح ملكك للأبد".

ضحك وهو يقول: "أخطبك كيف؟! ونحن عندما تعرفنا على بعضنا كنتِ مخطوبة، وحتى لو لم تكنِ مخطوبة، أنا متزوج ولي ابنه

صغيرة، ففي كل الأحوال علاقتنا لا تصلح أن تكون رسمية".

اعتدل في جلسته، وبدأ كلامه يأخذ منحني جد لأنه شعر فيَّ بتغير لم يعتده.

أنا لم أكذب عليكِ، من البداية أنتِ قلتِ أنكِ مخطوبة، وخطيبك يعمل مدرس بالسعودية، وأنا أخبرتك أني متزوج من سبع سنوات ولي ابنه صغيرة، ولم يحرك كلامي وقتها فيكِ أي شيء، وكان بيننا اتفاقًا على كل هذا، ما الذي غير كلامك؟"

انفعلت عليه من دون سبب، وقلت: "لم أغير كلامي، ولكن هل تحب زوجتك مثلما تحبني؟" رد بالنفي.

وأنا أيضًا لا أحب فاروق، ولا أتخيله زوج لي أبدًا، وخصوصًا بعدما عرفتك. كنت في السابق لا أهتم، وأقول أنه شخص مناسب ومن أسرة محترمة وأنه يحبني وهذا واضح من كلامه.

هذا فيما مضى، كنت أتحدث معه تليفونيًا ولا أحمل في نفسي شيء غير أنه رجل طيب، ولكن بعد ظهور طارق في حياتي أصبحت أسمع صوته منفرًا رتيبًا لا يستطيع أن يجعلني منصته إليه ولو لدقيقة، كلامه مكرر دون طعم: "كيف حالكِ، اشتقت إليكِ، لا أطيق الانتظار حتى تصبحين زوجتي ويغلق علينا باب واحد"

كنت أسمع تلك الكلمات سابقًا وأعلق بضحكة خفيفة، لكن منذ معرفتي بطارق أصبحت أحيانًا أبعد السماعة عن أذني حتى لا أشتمه أو أصرخ به، أو أقول له يالفظاظتك وأسلوبك الواحد الذي لا يتغير، هل تقرأ تلك الكلمات من ورقة أمامك وتصبهم في أذني كلما سمعت صوتي!

أتذكر زيارته الأخيرة قبل ثمان أشهر، عندما دخلت أمي لتجهز له العشاء وكنت قد هممت لمساعدتها ولكنه أمسكني بيده المتعرقة، وجذبني نحوه حتى يخطف مني قبلة سريعة، وقتها لم يستطع أن يقبل غير جنب فمي وجزء من خدي، فقد سحبت نفسي سريعًا ودخلت وراء أمي.

الآن كلما تذكرت وجهه وهو يقترب مني بأنفاسه الثقيلة وشفاهه الغليظة أكاد أتقيأ، لماذا كل هذه الأحاسيس لم تظهر إلا بعد ظهور طارق، لقد كنت راضية بكل شيء قبل ظهوره، لكن كل شيء تغير عندما دخل حياتي، عرفت فرق الكلمات، فرق لمسة اليد، فرق القبلة الوحيدة التي لم تكتمل بيننا، لماذا هو ليس جريئًا يشد يدي ويقبلني قبلة كاملة وليست قبلة مشوهة، ذكراها بداخلي يثير اشمئزازي وشعوري بالغثيان.

كل الثورة التي بداخلي وطارق لم يتحرك ولا يتكلم كلمة واحدة،

فقط أشعل سيجارة وبدأ في تدخينها. نظرت إليه باستغراب غير مصدقة ما الذي يفعله! أمي ستأتي قريبًا ورائحة السجائر تلتصق بالبيت، عندما كنت معه كان لا يدخن أبدًا حتى لا تلتصق بي رائحة السجائر وخصوصًا أنني لا أحبها.

لم يبالِ بنظرتي أو بكلامي، وأخذ نفسًا طويلًا وهو ينظر لي، كأنه يريد أن ينهي السيجارة كلها في هذا النفس، أو كأنها آخر سيجارة سوف يشربها. ذهبت مسرعة إلى المطبخ وجلبت له المنفضدة الوحيدة لدينا، وأخذت السيجارة أو ما تبقى منها وأطفأتها وتخلصت من أثارها. قال لي بهدوء: "ماذا تريدين الآن؟ وما معنى هذا الحديث؟ وما الذي ذكرك به حاليًا؟".

انفعلت من دون سبب: " أتكلم الآن لأن فرحي سوف يقام بعد بضعة أشهر قليلة، ماذا أفعل؟ سوف يكتشف فاروق أني خائنة ولست فتاة من عائلة حافظت على نفسي".

قال لي: "لا تقلقي، فاروق هذا من قصصك عنه، رجل طيب، أو بمعنى أصح على نياته لن يكتشف إذا تمكنتِ من الإيقاع به في ليلتكم، وبعض الإيحاءات المزيفة سوف تنطلي عليه الخدعة".

كان يقول هذا الكلام وهو يهم بالانصراف، لأنه أدرك أن اليوم

ليس كبقية الأيام، وأنني سوف أغضب أكثر لو ظل معي، تركني وحيدة وبداخلي ثورة ونار لم تنطفئ حتى الآن.

كنت أريد أن أكمل كلامي وأصرخ في وجهه، وأقول له: "فاروق ليس على نياته، وليس أهبل، ولكنني أنا من كنت رخيصة وأنانية وخائنة" ولكنني لم أستطع أن أقول هذا أمامه حتى لو بقي، فأنا لم أتعود أن أظهر أمامه بهذه الشخصية الرجعية الضعيفة، فهو أحبني وأنا جريئة قوية لا أهاب شيئًا.

مرت الأيام، وأنا أفكر ماذا أفعل؟ لا أحاول الاتصال بطارق، ولا أذهب حتى إلى الشرفة حتى أطمئن على زهوري وعلى المقعد الخشبي.

سألتني أمي عن سبب انقطاعي عن العمل، تحججت أنني مرهقة وغير معتادة العمل والاستيقاظ باكرًا وأنني قد أخذت إجازة مؤقتة.

قلق طارق أيضًا، فهو غير معتاد غيابي كل هذا، بدأ يتصل على تليفون منزلي، كنت أجري على التليفون حتى لا ترد أمي، وعندما أسمع صوته أغلق التليفون بهدوء وأدعي أنه رقم خاطئ، تكرر اتصالاته وانقطعت فجأة بعدما أحس بعدم رغبتي في وجوده.

هل كنت أريد فعلًا الابتعاد عن طارق؟ بالطبع لا، ولكنني كنت أريد تحقيق العدالة التي لا أراها. هل حققتها كاملة؟ لا، لم أحققها كلها بعد.

مرت الأيام سريعًا، لا أعلم كيف..

بقي على عرسي شهر ونصف فقط، كنت أعلم بنزول فاروق وقتها للإجازة لاستكمال ما تبقى لنا، وعقد قراننا، فهو دائم الاتصال بي ومحادثتي تلك المحادثات الرتيبة.

وجاء يوم قدوم فاروق وزيارته لنا، وإعداد وجبة الغذاء ترحيبًا به، وجهزت أمي كل التحضيرات سابقًا حتى أنها دعت أختي من الإسكندرية وزوجها ثقيل الظل لنجتمع معًا احتفالاً بقدوم فاروق من السفر. جاء وهو محمل بالهدايا لكل أفراد الأسرة حتى أولاد أختي لم ينسهم، فهو شخص كريم مجامل وبه صفات كثيرة طيبة، ولكن ماذا أفعل بقلبي! لا يستطيع أن يحبه ولا يتحرك ناحيته وخصوصًا بعد ما عرفت معنى الحب.

طلبت منه أن نذهب في نزهة، فأنا لم أخرج منذ وقت طويل. طلب الإذن من أمي ورحبت لم تعارض، ولم تطلب أن تذهب معنا لأنه ظل قرابة السنة في الخارج. اعتبرت أن هذا حقنا، أن نختلي

ببعضنا البعض في أي مكان عام، ما العيب!

أخترت أنا المكان، كازينو على النيل، كنت أجلس أنا وطارق هناك، لم أبال بنظرة الناس لي ولا إن كانوا سوف يتذكروا أن هذا الشاب غير السابق. كنت أريد أن أثبت لنفسي أنني لا أخاف شيئًا.

بدأ في حديث ممل لا أتذكر كلماته، أو ماذا قال حينها، ولا كنت مهتمة من الأساس.

قاطعته فجأة، وقلت له أنني لن أستطيع الزواج بك، ولا إكمال حياتي معك دون الدخول في تفاصيل، وهذا قراري بلا رجعة. كانت كلماتي قصيرة ومقتضبة ولكنها حادة كالسيف، لم ينطق بأي كلمة، كأن الكلمات تجمدت على لسانه.

اصطحبني على البيت مرة أخرى وهو صامت، كاد صمته يقتلني، ولكنني حمدت الله في سري، لأنني لست مستعدة لأي مناقشة منه أو من غيره.

وصلنا إلى البيت، لم يغادر سيارته ولم يصعد إلى إيصالي لأمي كما كان يفعل دائمًا، كأنه هو الآخر كان أخذ قراره، أو أنه لم يفق من تلك المفاجأة التي فجرتها بوجهه، وكان يريد هو الآخر أن يختلي بنفسه.

انقلبت حياتي منذ ذلك اليوم رأسًا على عقب، أصبحت لا تخلو من الشجار مع أمي وجميع أقاربي الذين لم أكن أراهم إلا في المناسبات، منزلنا لا يخلو من المناقشات والصياح، حتى إن أمي أول مرة في حياتها تصفعني، لم تؤلمني تلك الصفعة ولم تؤثر في، فأنا كنت ثابتة على موقفي. كل أفراد عائلاتنا القريب والغريب رأيته في هذه الفترة، ولكنني لم أكن أسمعهم، هي كلمة واحدة لا تتغير أمام الجميع "لن أتزوج فاروق".

حتى عمي، الذي كان في شبه قطيعة معنا، لأنه رأى أن أمي قد زورت إمضاء أبي في أيام مرضه الأخيرة، وكانت بينهما نزاعات ومشكلات كادت أن تنتهي في المحاكم، لولا لجوء بعض الأفراد لحل هذا النزاع، وتأكيد المحامي أن والدي طلب هذا من المحامي، وهو كتابة كل أملاكه بالتساوي بيني وبين أختي وأمي.

حتى عمي هذا، الذي لم أره إلا مرات قليلة جدًا جاء وتحدث معي، وثار على كل هذا، ولم يغير في كلامي شيئًا.

تخطيت تلك الفترة بصعوبة ولكنني تخطيتها في النهاية، لم أضعف أمام دموع وتوسلات أمي لإخبارها عما حدث، كنت أرد نفس الرد، "لن أتزوجه، أنا لا أحبه، كيف تريدينني أن أكمل حياتي تعيسة!".

تنفعل وتقول: "وما الذي أسكتك كل هذا؟ وتذكرتِ الآن أنك لا تحبيه وأنكِ تعيسة؟!" اتهمتني بالجنون، أو أن أحد ما دخل حياتي دون علمها، وحلفت أن لو جاء أي عريس لخطبتي في تلك الفترة سوف ترفض.

لم يأتِ أي عريس يدق بابي بسبب ما حدث، فكل جيراننا علموا بالموضوع وأشاعوا عني أني مصابة بسحر أو جنون، وحتى عندما بدأ يأتي عرسان لطلب يدي كنت أرفضهم في هدوء وسط ذهول أمي.

لا أريد أن أضحك على شخص آخر، لماذا يتحمل أخطائي؟! لماذا أعيش إنسانة بلا قلب، بلا ضمير في سبيل أن أرضي من حولي؟! يكفي أنني حققت العدالة من وجهة نظري.

بعد أربعة أعوام، مرضت أمي وتوفت. طبعًا كل من حولي وأولهم أختي ألقوا باللوم عليَّ، وأنني السبب في تدهور صحة أمي وموتها. أختي التي كانت وستظل بلا أي دور في حياتي، حتى إنها وقت ما حدث لم تكلف نفسها عناء السفر والتكلم معي لعلي كنت سوف أفتح قلبي لها، ولكنها اكتفت بمكالمة باهتة بلا مشاعر وهي تعطيني أوامر، أن أستمع لكلام أمي وأعدل عن هذه الفكرة الشاذة، ولكن موت أمي لم يكن بسببي؛ إنها أعمار. كل إنسان مقدر

له الموت في وقت محدد، هل أنا من أصنع الأقدار! أنه عمرها.

ما لم تعلمه أختي، أن أمي بعد فترة سامحتني، وتكلمت معي كثيرًا، طبعًا لم أخبرها بسبب رفضي الزواج الحقيقي، ولكني بررت لها أنني لا أتخيل نفسي زوجته ولا أريد أن أخدعه.

طبعًا هذا الكلام غير مقنع لأمي، وخصوصًا أنها لا تعرف ولا تعترف بالحب. الحب بالنسبة إليها رجل محترم يكفي حاجات بيته، ومن أسرة طيبة. كل هذا الهراء عن المشاعر والأحاسيس لا تفهمها، ولكنها حاولت أن تبتلع كلماتي حتى لا تسوء علاقتنا أكثر وأكثر، وخصوصًا أننا ليس لنا غير بعضنا البعض وكنت كل حياتها.

احتضنتني ذات مرة، وقالت لي: "هل تعلمي أن في داخلي سعيدة بعدم إتمام هذه الزيجة؟". نظرت إليها غير مصدقة! بعد كل تلك الصراعات والغضب والمقاطعة التي كانت بيننا، تخبرني أنها سعيدة بعدم إتمام زيجتي! قالت لي: "طبعًا أنا سعيدة لأنك لم تبعدي عني، فأختك في بلد وأنتِ كنتِ ستسافرين مع زوجك في الخارج وكنت سأجلس وحيدة، ولكن ما أغضبني هو طريقتك في إلغاء زواجك واختيار التوقيت، ولكن دعينا ننسى كل هذا، إن النصيب لم يأتِ بعد، وأنا سامحتك من كل قلبي"، ولكنها لم تخبر أختي ولا أحد من أقاربنا بهذا الكلام خوفًا من لومها واتهامها المعتاد بتدليلي الزائد.

فكيف بعد هذا يلقون باللوم عليَّ ويحملوني عواقب مرضها وموتها، لقد أحزنني موتها وكسرني، جعلني ذابلة ووحيدة مثل زهوري.

تمر الأيام طويلة مملة، لم يعد أحد يسأل عني ولا حتى يهتمون بوجودي. أفتقد صراخهم في، وأفتقد زحام البيت بأناس غرباء، جميعهم يحاولون تحديد مصيري. ليت تلك الأيام الصاخبة تعود بدلًا من تلك الأيام المملة التي لا أشعر فيها بوجودي.

رجعت للاعتناء بزهوري التي أهملتها، كانت سيقان ذابلة بلا حياة، تقف كشواهد القبور تنظر إليَّ وكأنها تلومني هي الأخرى. تخلصت منها كلها وبدأت في شراء أوان وزهور جديدة، ولكن من مكان آخر طبعًا.

رتبت زهوري من جديد، واعتنيت جيدًا بزهرة الياسمين، وجلست أنظر من الشرفة ناحية اليمين في انتظار طارق.

إمرأة بلا عقل

في صباح يوم كجميع الأيام بالنسبة إليها، لا تعرف في أي يوم، ولا تهتم ما الشهر، ولكنها تعيشه فقط كبقية الأيام.

السماء بها غيوم، ولكن الجو به حرارة وخنقة لا تليق بمنظر هذه الغيوم لا تدري هذه الخنقة من الجو فعلًا أم هي بداخلها.

تفتح باب الحجرة تجدها معبأة برائحة السجائر، مصحوبة برائحة عرق كريهة، خليط من الروائح يجعلك تشعر بالغثيان.

تصرخ بصوت عالٍ: قوم يا نجس يا عملي الأسود في الدنيا.. طالع بايظ وتلفان زي اللي خلفك.

ينفض الغطاء سريعًا في غضب ويرد عليها في هجوم: ما براحة يا ما في إيه على الصبح؟! الناس تصحى تقول يا فتاح يا عليم.. مش الدبش اللي بتحدفيه على الواحد ده، وبعدين أنتِ كل كام يوم تدخلي وتعملي شبورة من غير لازمة ليه وداخلة تصحيني ليه أصلًا؟

ترد عليه: داخلة أصحيك.. أشوفك يمكن تكون قلبت راجل وبقى عندك دم وهتنزل تشوف شغلانة بدل الهم اللي عايشين فيه،

يا أخي طب حتى تصرف على نفسك بدل ما بتسرقني كل ما يبقي معايا قرشين.

خلاص يا ما خلصتي الكلمتين بتوعك؟! خدي بقى الباب في إيدك علشان أكمل نوم. يعطيها ظهره ويخبأ جبهته بالغطاء غير مبالي بسيل السباب والدعاء الموجه إليه.

تخرج إلى الصالة الضيقة، تجلس على الأريكة المتهالكة كبقية العفش، تنظر إلى الشباك الذي لا ترى منه سوى أرجل الناس المارة في الحارة، والغبار المتطاير من أرجلهم الذي يملأ صدرها ويعفر وجهها.

تبكي بحرقة وهي تغطي وجهها بطرف عبايتها، وتمسح دموعها وتقول: يا رب أنا تعبت ومابقتش قادرة أستحمل.. يا ريت تكون خلصت مني كل ذنوبي.. أحسن أنا مش حمل عذاب دنيا وآخرة.

وجهها الأبيض الذي يعلوه النمش البرتقالي الصغير وشعرها الأحمر الذي تخلله الشيب وزحف إلى مقدمته. ينم على جمال ضاعت معالمه من الحزن والشقاء، لم يتبق من جمالها إلا ذكرى بسيطة بعدما كانت مشهورة بلقب عروسة البحر من شدة جاذبيتها وجمالها.

في شارع من شوارع المعادي الهادئة، والشوارع المغطاة بالأشجار

ورائحة الزهور التي تنبعث من الشوارع.

فيلا في مقدمة الشارع، يصعد السلم الخاص بها شاب في أوائل الثلاثينيات، يدق جرس الباب وهو يضبط بدلته، وتفتح سيدة أربعينية منمقة.

يبتسم لها الشاب في أدب وهو يقول لها: صباح الخير.. أن مسيو محسن اللي جاي علشان أنسة جميلة.. في ميعاد دلوقتي.

تدعيه السيدة للجلوس في الصالون بجانب البيت حتى تخبر الأنسة جميلة.

يجلس وهو ينظر من حوله على الأساس الفاخر المرتب الذي ينم على ذوق وثراء في نفس الوقت.

تطرق على الباب وتدخل وهي تقول: جميلة.. في شاب حليوة طول بعرض كده بيقول أنه مسيو مش عارف ايه كده.. بس إيه زي القمر.

تضحك جميلة وتقول لها: يا دادة يا شقية ده المسيو بتاع الفرنش، قدميله أي حاجة وأنا نازلة وراكِ علي طول.

تسرح شعرها الأحمر الطويل، وترتدي فستان مقفول بأكمام حسب تعليمات والدها لأنها ستجلس معه بمفردها، تنزل على

السلالم وعندما يراها مسيو محسن يبتسم لها في انبهار ويقف يقول: أهلًا يا أنسة جميلة.. ما شاء الله اسم على مسمى. تلمح جميلة نظرة الانبهار في عينيه ولا تعطيه أهمية فهي أخذت على ذلك من كل من يحيطون بها.

تقاطع النظرات بكلامها حتى ينتبه، وتضع أمامه الكتب الخاصة بها وتقول له: أنا جيبت لحضرتك كل الكتب بتاعة الفرنش.. أنا ضعيفة قوي قوي فيه.

يقول: ماتحمليش هم.. سيبي الموضوع ده عليا، أنا هخليكِ أشطر واحدة في زميلاتك كلهم.

في مصنع والد جميلة، أجواء التوتر تملأ المكان. والد جميلة يملك مصنع كبير للغزل والنسيج، وله شريك أجنبي، منذ دخوله والمصنع في تطور مدهش، ولكن ما يقلق والد جميلة اضطراب في الأجواء السياسية وأحداث لا تبشر بالخير، وخصوصًا بعد إلحاح شريكه أن يشتري نصيبه في المصنع لأنه يريد العودة إلى بلاده.

كل شيء يحدث سريعًا مما يؤثر على أعصابه ويلوح في الأفق بوجود أزمة.

يدخل عوض على أمه يجدها تبكي كالعادة، يقول لها بصوت

عالٍ: يا ديني على وصلة النكد بتاعة كل يوم اللي مابتخلصش أبدًا. يجلس أمامها يلف سيجارة ويبرطم وهو ينظر لها نظرات غيظ.

تقول له: والنبي مش مكسوف من نفسك وأنت بتلف سيجارة قدامي.. أنت للدرجة دى ماعندكش دم.. بس صح هتجيبه منين؟! ما أنت زي اللى خلفك مالكش لازمة وبجح.. ربنا يوريني فيك يوم.

يتنفض من أمامها وهو يقول: خلاص ماشي وسايبهالك.. وغاير من وشك أهو.. هروح أقلب أي مصلحة يمكن ربنا يكرمني علشان بركة دعاكِ دي يا ما.

دخل فريد والد جميلة من باب الفيلا على وجهه علامات الحزن والتوتر، ولكنه ينتبه لوجود مدرس جميلة فيرحب به ويفتعل ابتسامة، وهو يسأله عن أحوال جميلة يقول له: جميلة عاملة معاك إيه دلوقتي .. اتحسنت في الفرنش؟

يرد عليه: لا دي بقت هايلة خالص يا فريد بيه.. أنا قولت لسعادتك ماتشيلش هم الموضوع ده.

يقول فريد: عارف لو المرحومة مامتها كانت عايشة.. عمرها ما كانت احتاجت لأي دروس خالص لأنها من أصول فرنسية.. بس

حكمة ربنا بقى إنها تتوفي وجميلة لسه سنتين.

يرد عليه: الله يرحمها.. البركة في حضرتك.. كان الله في عونك.. مسؤولية تربية جميلة لوحدك ده غير المصنع حمل كبير عليك بس سيادتك قدها وقدود.

تنتهي جميلة من الدرس وتطرق على والدها باب غرفة مكتبه، وتحمل في يديها باقة من الزهور، يضحك والدها ويقول لها: مدام داخلة بالورد يبقى عايزة حاجة.

تقبله في خده وتقول له: علشان خاطري يا بابا.. نفسي أروح لفريدة في بيتها شوية.. عندها درس بيانو وعايزة أتفرج عليها بس وهي بتعزف.. وكل مرة بتتفق معايا وحضرتك بترفض.. وبعدين حضرتك رفضت إني أجيب مدرس بيانو في البيت.

يرد عليها وبدأت ملامحه تأخذ الجدية نوعًا ما: أنتِ عارفة أنه ماينفعش أدخل كل شوية راجل غريب وأنا مش موجود.. ده مسيو محسن أنا وافقت عليه لما عرفت إن مستواكِ متأخر، ده غير إن أعز أصدقائي أنا بثق فيهم جدًا اللي رشحوه ليكِ.. ده غير إني بوصي الدادة أنها تفضل معاكم طول الحصة.. أظن بقى هي مش هتسيب كل الشغل اللي وراها وتقعدلك يا ست جميلة، وبعدين

أنتِ إيه حكايتك؟ كل يوم والتاني عاوزة تخرجي.

ترد عليه: وحياتك يا بابي أنا ماخرجتش خالص الأسبوع ده.. غير من كام يوم نزلت أنا ودادة اشتريت شوية حاجات كانت ناقصاني ورجعنا على طول.

تتكلم بحزن وتقول: حضرتك بقى لك فترة مشغول عني قوي.. لا بتقعد معايا ولا بتتكلم حتى زي زمان وأنا لوحدي.. لو مامي كانت عايشة ماكنتش هحس بالوحدة دي أبدًا.

يرق قلبه لكلامها ويحاول تغيير الموضوع سريعًا: طيب خلي صحبتك تيجي تزورك.

ترد عليه: إن شاء الله الأسبوع الجاي هخليها تيجى تقعد معايا، أنا بس النهاردة عايزة أروح أتفرج عليها وأسمع عزفها.

يوافق الأب بعد إملاء شروطه عليها ويقول لها: ساعة واحدة بالظبط والأسطي سيد يوديكِ ويستناكِ تحت البيت علشان أنتِ عارفه إنه لسه جديد وممكن يتلخبط.

تقبله جميلة وتحضنه وتسرع للخروج.

- مالك يا عم قالب وشك علينا ليه على الصبح؟

– سيبني في حالي والنبي.. أنت عارف اصطباحة أمي الله يكرمها قفلتلي اليوم.

يضحك مرزوق صديقه ويقول: قال يعنى ده جديد عليك! ما طول عمرها كده.. تعالى نقعد على القهوة نلعب دورين طاولة وأغلبك زي كل مرة.. بس المرة دي أنا اللي هعزمك.

يرد عوض بتهكم: كده كده هتعزمني.. أنا مش لاقي.. بكح تراب من الآخر.

– قولي يا عوض هو أبوك فين؟ بقى لي كتير ماشوفتوش.. كان بيجي الأول تخاطيف كل فترة ويديك أي نفحة.. دلوقتي قطع خالص.

يرد عوض: أمي بقى.. كان كل ما ييجي تتخانق معاه وتفضل تدعي عليه.. لحد ما قطعت رجله من البيت خالص.. بس هيروح فين! مسيره يظهر تاني.. ولا ميظهرش! هو بصراحة على رأي أمي زي قلته.

في فيلا المعادي تحضن جميلة الدادة وهي تقول لها: بقولك يا دادة ساعة بالكتير.. لا، نص ساعة بالضبط وهكون هنا.

ترد عليها الدادة: لا يا ست جميلة مش هقدر أنزلك من غير

أوامر فريد بيه.. أنتِ عايزاه يعمل فيا إيه؟ النوبة اللي فاتت على بال ما رجعتِ كان دمي اتصفى، واحنا داخلين على المغرب.. افرضي بابا كِ طب فجأة وعرف إنك نزلتِ؟

ترد جميلة: ماتخافيش.. بابي بيتأخر اليومين دول.. أنا هروح أجيب الرواية من خديجة وأرجع على طول.

تطبع قبله على خدها وتنصرف مسرعة دون انتظار ردها.

تركب العربة وتغادر الفيلا.

تسرح الدادة وهي تنظر إلى جميلة وهي تغادر وتقول في سرها: غريبة قوي جميلة اليومين دول.. أنا حاسة بحاجة قلقاني.. أقول لبابها وأنبهه ولا أبقى بظلمها، جيب العواقب سليمة يارب.

تقوم أم عوض بعد وصلة الدعاء والبكاء من أمام الشباك، وهي تقول لنفسها: "بلا نيلة.. قاعدة أتهوى قدام الشباك.. اتعفرت وصدري اتردم تراب.. أه ياانا على حظي.. ما أنا قاعدة تحت الأرض، أما أقوم أهوي أوضة الزفت".

تفتح شباك الحجرة وتقول: شباك زي قلته.. لا بيهوى الأوضة ولا بيدخلها شمس.. بس يلا أديني بعمل اللي عليا.

ترفع ملاءة السرير المهترأة من كثرة الغسيل، تنظر تحت زجاج

الترابيزة الصغيرة، تجد صورة لعوض وأبوه حامله وهو طفل صغير، تضحك بمرارة وهي تقول: كان مستخبيلي فين كل ده؟ تنظر إلى الصور وتحدثها: بقى أنت تستاهل كل اللي عملته علشانك.. والبهدلة اللي ماكنتش تخطر على بالي؟!

بس المصيبة الأكبر اللي أنت عملته فيا. تتذكر ضربه المبرح لها بسبب أو من دون سبب، وإجبارها على العمل في البيوت. تتذكر يوم ما عادت من العمل لاستغناء أصحاب البيت عنها لقلة خبرتها، في ذلك اليوم ضربها حتى كسر ذراعها، تتحسس مكان الكسر كأن الذكرى ألمتها. تقول في نفسها: منك لله.. ورتني العذاب أشكال وألوان. تنظر إلى عوض في الصورة وتحدثه: سميتك عوض علشان تبقي عوض ليا وعن اللي جرالى بس على الفاضي.. لسانك طويل وعايزني أنا اللى أصرف عليك.. وأنت حاطط رجل على رجل.

في فيلا المعادي يثور والد جميلة ويعلو صوته، وهو يحدث مسيو محسن ويقول له: أنت ازاي يا أفندي أنت ماسك إيد بنتي؟! أنت اتجننت؟! أنا هوديك في داهية.

يرد عليه: أبدًا والله يا فريد بيه.. ده أنا شوفتها تعبانة ومش مركزة.. فبسألها "مالك" قالت "دايخة شوية ومرهقة" فكنت بطبطب علي إيدها مش أكتر.

قاطعه الأب في حزم: أنت لسه هتبرر أفعالك.. اطلع برا حالًا.. وأنا هبلغ جميع أصدقائي اللى بتروحلهم ورشحوك ليا.. أنك شخص غير أمين واحمد ربنا إني ماسلمتكش للبوليس.

حاول مسيو محسن الدفاع عن نفسه، ولكن دون جدوى. فقد طرده الأب خارج المنزل.

يلتفت الأب وعيناه ملؤها الغضب، ويصرخ في جميلة: أنتِ إزاى تسيبي راجل غريب يمسك إيدك ويلمسك؟! أنتِ أكيد اللي جرأتيه على حاجة زي دي.. شاف منك إيه علشان يعمل التصرف المشين في بيتي؟!

في ارتباك ترد جميلة وهي خائفة: مفيش أي حاجة يا بابي من اللي بتدور في دماغ حضرتك.. كل الحكاية زي ما المسيو حكى بالضبط.. أنا فعلًا كنت تعبانة قوي ودايخة .

يشعر والدها بصوتها المرتعش ووجها الأصفر، فتهدأ ملامحه وتهدأ نبرة صوته، ويقترب من جميلة ويقول لها: أوعي يكون الراجل ده عمل أي تصرف تاني وأنتِ سكتيله.

ترد جميلة: وحياتك يا بابي ما في أي حاجة حصلت.. حضرتك بصراحة ظلمت مسيو محسن.. هو فعلًا ماكنش يقصد حاجة

وحشة.

تدخل الدادة عليها حجرتها وتقول: مالك يا جميلة سرحانة كده بتفكري في إيه؟

ترد جميلة: أبدًا يا دادة.. أنا كويسة.

ترد عليها: لا.. أنتِ فيكِ حاجة ومخبية عليا.. ده أنا اللي مربياكِ وحافظاكِ.

تبكي جميلة وهي تحتضنها وتدفن رأسها في صدرها. تفزع وتقول لها: مالك؟ قوليلي فيكِ إيه؟ بتعيطي كده ليه؟ يكونش علشان الخوجة الحليوة اللي فريد بيه طرده؟

ترد جميلة وهي تبتسم ابتسامه باهتة: لا يا دادة أنا تعبانة بجد.

وهو اللي تعبان يبكي بحرقة من قلبه كده.. أنا أول مرة أشوفك عاملة في روحك العمايل دي.. اوعي يكون علشان العريس اللي فريد بيه جايبهولك.. يبقى مالكيش حق.. ده عريس باين عليه ابن ناس ومحترم.

ترد جميلة: يا دادة ابن ناس إيه بس! ده شكله قد بابي.. هو من بعد موضوع مسيو محسن وهو عايز يجوزني أي حد وخلاص.. هو أنا عملت عملة؟!

أنا مش هتجوز غير واحد أنا اللي اختاره.. ويكون سنه قريب مني وبحبه كمان.. أنا كده كده رفضت وقولت لبابي حتى لو دبحني مش هوافق.

تجلس أم عوض وحيدة كالعادة وتحدث نفسها وتقول: والنبي ما انا عارفة يا عوض أنا بكرهك علشان أنت أخلاقك وحشة.. ولا أنا واخداك بذنب أبوك؟ قالت وهي تنظر لصورة صغيرها وبداخلها ألم لا تستطيع تحمله، ألم من إحساسها بالذنب تجاه وحيدها الذي تعامله بقسوة ونفور غير مبررين، هل ذنبه الذي اقترفه أنه يشبه أباه فكل مرة تتشاجر مع ابنها يدور بداخلها ذلك الصراع وتـأنيب الضمير الذي سرعان ما يهدأ أو ينام ضميرها مرة أخرى، عندما ترى عوض أمامها يتحول التعاطف إلى كره شديد مرة أخرى، دون أن يعرف هو السبب.

في فيلا المعادي يتحدث والد جميلة معها بوجه خال من التعبيرات، يقول في لا مبالاة: العريس اللي فات قولتِ إنه كبير في السن ومش هينفع لكن بصراحة العريس المرة دي سنه مناسب جدًا إيه حجتك بقى؟ ولا هو رفض وخلاص؟

تشعر جميلة بحزن في طريقة كلام والدها لا تعرف سببه، فتحاول أن تفهم ما الذي أصابه! تقول بصوت هادئ: لا يا بابي مش رفض

وخلاص.. أنا بس عايزة أخلص الامتحانات وإن شاء الله من بعدها اعتبرني موافقة على أي عريس حضرتك هترشحه ليا.

بس عايزة أسأل حضرتك.. مالك متغير وشكلك زعلان ليه؟ هو الزعل ده بسببي؟

يرد عليها: لا طبعًا يا حبيبتي.. أنا بس عندي شوية مشاكل في الشغل.. دي اللي قلقاني.. وعمومًا أنا نفسي أطمن عليكِ.. أنا مش عايش ليكِ العمر كله.

تمر أيام رتيبة على كل من في الفيلا دون سبب، يوجد شيء كل شخص يشعر بحزن داخله ولا يعترف به.

يدخل والد جميلة عليها ويقول لها: أنتِ مابقتيش بتروحي مدرستك ليه يا جميلة؟ يعني إيه بقالك أسبوع غايبة من غير علمي وأعرف من عمك مصطفى مدير المدرسة! هو أنتِ عايزة تسقطي السنة دي علشان مانتممش الجواز! اعملي حسابك حتي لو ماخلصتيش هتتخطبي.

– والله يا بابي كنت تعبانة شوية.. وماكنتش قادرة أروح المدرسة.

يرد عليها: طيب ماقولتيش ليه؟ كنت أجيب دكتور يشوفك.. أنتِ بقى لك فترة كل شوية تقولى تعبانة وفعلًا شكلك مرهق.

ترد عليه: أنا المرة دي عندي دور برد وجسمي كان في سخونية.. مش حاجة مستاهلة دكتور.. وبصراحة دادة مش سايباني.. على طول حاجات سخنة.. وأنا خلاص بقيت كويسة.. ومن بكرة إن شاء الله هرجع المدرسة.

في صباح اليوم التالي:

يدق هاتف المصنع الخاص بوالد جميلة ويخبروه بسرعة الحضور لأخذ جميلة لتعرضها لحالة إعياء شديدة، ورفضها أن دكتورة المدرسة تكشف عليها.

في الفيلا الوالد في حالة ذهول وصدمة، لا يستطيع أن ينطق كأنه لا يجد ما يقوله، دموعه تنزل، يقف فجأة وهو يصرخ كالمجنون، قوة صرخاته تكاد ترج المنزل كأن صمته هذا كان تجميع لقواه.

– انطقي مين اللى عمل فيكِ كده؟ يصفعها بقوة تكاد تطيح بجميلة. تقع على الأرض وهي لا تنطق ولا تبكي ولا تصرخ ولا تبدي أى ردة فعل، يمسكها من شعرها ويرفعها ويقول لها: لو مانطقتيش دلوقتي أنا هقتلك.. أنا عارف مين اللى عمل كد.. مفيش غير اللي اسمه محسن ده.. أنا كنت متأكد.. أنا هروح بيته وأوديه في ستين داهية.

تتدخل مربيتها للدفاع عنها، وتخليصها من يد فريد بيه، يدفعها بقوة ويهددها وهو يقول لها: هي دي الأمانة اللي كنت سايبهالك وبتقولي زي بنتك.. أنتِ خلاص مالكيش أي عذر إنك تفضلي معانا.. بس بقولك أهو آخر مهمة ليكِ إنك تحافظي على جميلة لحد ما أرجع.. ممنوع حتى تخرج من أوضتها أنتِ فاهمة؟

ترد بهزة من رأسها دون أن تصدر صوت.

ترفع أم عوض مرتبة السرير تحتها الأكياس القديمة لتمسك الجورنال القديم، تنظر إليه بندم وحسرة وبيد مرتعشة تفتحه على خبر وفاة أبيها.

كل ما تقرأ الخبر بتاع وفاته تشعر أنه توفي اليوم، وتتجدد أحزانها مع أنه مر عليه أكثر من ثلاثين عامًا تتذكر كل ما حدث كأنه شريط يجري أمامها، عندما عين الأسطي سيد في منزلهم، كان شابًا ويتمتع بجسم ممشوق وبشرة سمراء، كان في المجمل شاب وسيم مهذب. وعندما رآها أول مرة لم يستطع أن يسيطر على نظرات إعجابه وانبهاره بجمالها، وطبعًا هي كانت اعتادت تلك النظرات التي تراها في أعين كل من يراها وخصوصًا لأول مرة.

ولكن سيد كان جريئًا، دائمًا يحاول أن يتحدث معها ويقتحم

خصوصيتها بجرأته وخفة ظله، وكان يتحدث معها بفرنسية رديئة اكتسبها من أسرة فرنسية سابقة كان يعمل معهم. تضحك جميلة على طريقة نطقه. بالنسبة إليها كان الأسطى سيد شخصية فريدة من نوعها، شاب جميل خفيف الظل يتحدث إليها دائمًا يخرجها من الوحدة المفروضة عليها، يوم بعد يوم اتقلب إعجابها به وتعلقها إلى ما افترضت إنه حب وخصوصًا أنها كانت فتاة مدللة وحيدة، لا تختلط بأحد. وقعت في غرامه ووقعت جميلة تحت تأثير كلامه الجريء المعسول. سلمت نفسها له بحب وطيب خاطر، كان يعتقد أنه سوف يؤثر على والد جميلة ويرضخ له بعدما عرف أن جميلة ابنته الوحيدة واقعة في حبه وسلمت له نفسها، بنى أحلامه أنه سوف يتزوجها ويكمل حياته في الفيلا الفخمة، ويشغل منصب محترم في مصنع والدها. ما هو مش ممكن جوز بنته يفضل سواق، ده الناس تاكل وشه!

ولكن حدث ما لم يكن في حسبانه، وهو حمل جميلة منه، وخوف جميلة من بطش والدها بها جعلها تهرب من بيتها لتختبئ عند سيد.

استغل سيد الفرصة، وقال لها: دلوقتي خلاص نكتب الكتاب.. وكمان كام شهر نروح لبابا نعتذر له ونبوس إيده وأهو يكون هدي شوية..

وأنا عارف عن فريد بيه قلبه طيب وهيسامحك.. ده مالوش غيرك في الدنيا.

رضخت جميلة لتلك الفكرة، فهي لا تملك رفاهية الرفض أو الاختيار.

لم يغب سيد عن العمل ولو ليوم واحد حتى لا تلتفت إليه الأنظار وتفسد خطته، ولكن بعد فترة قصيرة استغنى عنه فريد بيه، فهو كان موجود لخدمة جميلة وجميلة اختفت، فأعطاه مستحقاته وصرفه.

حزنت جميلة بسبب الإستغناء عن سيد في العمل، لأنه كان همزة الوصل ينقل أخبار أباها إليها فكانت مطمئنة نوعًا ما رغم أن سيد كان يقول لها دائمًا: باباكِ قلبه متشحتف عليكِ يا جميلة وهيتجنن.

كانت تسمع أخباره وهي حزينة وتريد الذهاب إليه، ولكن كان سيد يقول لها: نستني شوية علشان يبقى استوى على الآخر ومايعملش رد فعل وحش.

تستجيب له جميلة، وهى تكاد تجن من الشوق لأبيها.

تمر الأيام ثقيلة كالدهر، ولكن يهون عليها معاملة سيد اللطيفة وحبه لها، وتوفيرها لكل شيء تحتاجه كان يهون عليها الأيام

القاسية، ولم تكن تعلم ماذا يدور في رأسه. فوجئت بسيد يدخل عليها بجرنال مكتوب به خبر وفاة والدها، لم تصدق الخبر، ولم تسمع صياح سيد وهو يمنعها من النزول حتى يذهب معها. ذهبت وحدها تجرى كالمجنونة في الشوارع، ذهبت إلى الفيلا وهي غير مصدقة، تريد أن تدخل وترتمي في أحضان والدها وأن كل ما مرت به هو كابوس.

ولكنها وجدت الفيلا مكبلة بالسلاسل، ولا توجد بها حياة. ذهبت إلى محامي والدها فهي كانت تعرف عنوان مكتبه، روى لها ما حدث لوالدها من تدهور حالته الصحية بعد هروبها وخصوصًا أنه لم يترك مكان حتى بحث فيه، ثم جاءت القشة التي قصمت ظهر البعير وهو خبر تأميم فريد بيه والحجز على ممتلكاته، كل تلك الأحداث أدت إلى تدهور سريع وإصابته باكتئاب حاد وموته المفاجئ. لم تهتم جميلة بخبر تأميم ممتلكات والدها، ولا تعنيها الثروة. كانت في حالة من الصدمة بسبب موت والدها وهو لا يعلم أين هي، هل سامحني؟ هل مات وهو غير راض عني؟!

ذهبت إلى سيد وحكت له ما حدث، علامات الغضب تظهر على وجهه، وكانت تلك بداية تحول سيد من شخص محب لطيف إلى شخص آخر يكرهها ويتمني التخلص منها ويريد الانتقام منها

لسبب لا تعلمه، ولكنها اكتشفته شيئًا فشيئًا فجميلة كانت بالنسبة له فرصة ذهبية، ولكنها الآن لا قيمه لها. ظهر سيد على حقيقته وبدأ في الانتقام منها على ذنب لم تقترفه، مات أبوها وماتت وهي حية.